وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

النزعة القومية في الشعر الجزائري الحديث

– ديوان اللّهب المقدّس " مفدي زكريا "أنموذجا –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

* رباب بحرية

إشراف الأستاذ:

د. محمد بوزواوي

السنة الجامعية: 2022/ 2023م

وزارة التّعليم العالي و البحث العلمي

جامعة يحي فارس بالمدية

كلية الآداب واللّغات

قسم اللّغة والأدب العربي

النزعة القومية في الشعر الجزائري الحديث

– ديوان اللّهب المقدّس " مفدي زكريا "أنموذجا –

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ماستر في اللّغة والأدب العربي

تخصّص: أدب عربي حديث ومعاصر

إعداد الطالبة:

* رباب بحرية

إشراف الأستاذ:

د. محمد بوزواوي

السنة الجامعية: 2022/ 2023

الإهداء

بسم الله الرحمن الرحيم

" يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ "

*اللهم كما أنعمت فزد وكما زدت فبارك وكما باركت فتمم وكما أتممت فثبت

الحمد لله أولا وآخرا.

*أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

من كلله الله بالهيبة والوقار إلى من علمني العطاء بدون انتظار إلى من أحمل اسمه بكل افتخار" والدي العزيز "

وإلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب ومعنى الحنان " أمي الغالية " وإلى إخوتي وأساتذتي وأقربائي وأصدقائي ولكل من تمنّى لنا الخير.

وفي الأخير أرجو أن يكون عملي هذا نافعا يستفاد منه.

شكر وتقدير:

أتقدم بوافر الشكر والعرفان لكل من مد يد العون لإظهار الجهد المتواضع، واقصد هنا الدكتور " محمّد بوزواوي "

إلى وقوفه جانبي وتقديم النصح والإرشاد لإنجاز هذا البحث.

وأتقدم بالشكر والعرفان للأستاذين عضوي لجنة المناقشة.

وأسأل الله أن يوفقنا ويسدد خطانا لما يرضيه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله ربّ العالمين.

شكر خاصّ:

إلى الطبيب الجرّاح " أحمد غفاري" أتقدم لحضرتك بأسمى عبارات الشكر والتقدير معطرة برائحة الاعتزاز والامتنان على كل ما قدمته لي خلال فترة وجودي تحت رعايتك فكنت خير مثال في الكفاءة الطبية الممزوجة بالرعاية والاهتمام فشكرا وألف شكر.

مـقـدمـة

مقدمة:

التزم الشعر الجزائري الحديث بقضايا أمته العربية، فقد كان للظروف السياسية التي مر بها العرب أثر في بلورة الشعور القومي، سواء تعلق الأمر بالاحتلال الأجنبي للأرض العربية- أو الاستيطان الصهيوني، وهذا زرع في الشعراء روح الانتماء، ومشاعر القومية فأسالوا حبرهم لخدمة هذه الأمة والدفاع عنها، ومن بين هؤلاء الشعراء نجد الشاعر الجزائري مفدي زكريا.

ونظرا لأهمية الموضوع التي تكمن في كون الشعر الجزائري حلقة من حلقات الشعر العربي الذي ساهم في إثبات القومية العربية والدعوة إلى توحيد صفها، وكان الهدف من هذه الدراسة هو معرفة مدى مساهمة الشعر الجزائري الحديث في إيقاظ النزعة القومية في خضم الأوضاع السياسية التي تعيشها البلاد العربية في ذلك الوقت.

ويأتي اختيار هذا الموضوع الموسم "بالبعد القومي في الشعر الجزائري الحديث" من تفاعل جملة من العوامل الذاتية، والموضوعية منها:

- الرغبة في توسيع فكرة موضوع البحث.
- الاستزادة في المعلومات حول ابحث والتطلع على أفكار جديدة.
- إضفاء بحث جديد ذو طابع خاص على البحوث السابقة.

أما الجانب الموضوعي:

- نظرة الشعراء الجزائريين إلى البعد القومي وتجسيده في أشعارهم.
- اتصال الشعر الجزائري بقضايا الأمة العربية بتسيير شغف الدراسة والتعمق.
- التغييرات التي طرأت على مستوى الشعر الجزائري خاصة بعد ظهور البعد القومي في فترة الستينات والسبعينات.

وهذا ما جعلني أطرح الإشكالية الآتية:

- كيف جسد الشاعر مفدي زكرياء النزعة القومية في أشعاره؟
- وهل استطاع حقا أن ينجح في ذلك؟

وقد تفرعت عن هذه الإشكالية مجموعة من التساؤلات التي يمكن إجمالها فيم يأتي:

- نشأة الشعر الجزائري الحديث وأهم اتجاهاته خصائصه.

- كيف كانت البدايات الأولى لهذه النزعة في الشعر الجزائري،وللإجابة على هاته الإشكالية اقترحت عدة فرضيات منها:

-جسد الشاعر الجزائري النزعة القومية في شعره من خلال الاهتمام بقضايا أمته والدفاع عنها.

- التطرق إلى معاناة الشعوب العربية والوقوف على جراحهم .

- الدعوة إلى توحيد هذه الأمة والنهوض بها .ولمعالجة هاته الفرضيات وتمحيصها بشكل علمي اعتمدت على عدة مناهج ساعدتني على سيرورة بحثي بشكل سلس، ومن بين هاته المناهج، المنهج الوصفي الذي ساعدني في دراسة بحثي من كل جوانبه وجمع المعلومات عنه، بالإضافة إلى المنهج التحليل الذي استخدمته في تحليل المعلومات خاصة الجانب التطبيقي وأخص بالذكر تحليل الأبيات الشعرية ولمساعدة فهمها. بالإضافة إلى الاعتماد على المنهج التاريخي في تدوين الأحداث التاريخية التي كانت ضمن مجريات البحث، وسارت هذه المناهج وفق خطة بحث محكمة حيث اعتمدت على فصلين فصل نظري مجزأ إلى مبحثين المبحث الأول معنون بالشعر الجزائري الحديث وتضمن ثلاث مطالب المطلب الأول: نشأة الشعر الجزائري الحديث.

المطلب الثاني: اتجاهات الشعر الجزائري الحديث أما المطلب الأخير فكان بعنوان: خصائص الشعر الجزائري الحديث.

أما بالنسبة للمبحث الثاني فعنونته بالبعد القوميّ في الشّعر الجزائريّ، وقسمته إلى ثلاثة مطالب، المطلب الأول بعنوان مفهوم البعد القومي لغة واصطلاحا، أما المطلب الثاني يحمل عنزان بدايات الشعر القومي في الشعر العربي الحديث

أما المطلب الثالث فهو موسوم ببدايات الشعر القومي في ديوان اللهب المقدس وجزأته إلى ثلاثة مطالب، فحمل المطلب الأول عنوان: نبذة عن حياة شاعر مفدي زكريا، يليه المطلب الثاني بعنوان لمحة حول ديوان اللّهب المقدس أما المطلب الأخير فحمل عنوان تجليات البعد القومي في اللهب المقدس.

وككل بحث واجهتني عدة صعوبات من بينها صعوبة الحصول على المراجع والمصادر، وغالبا عدم توفرها ولانجاز بحثي وإتمامه اعتمدت على عدة مصادر ومراجع ساعدتنيعلى القيام بهذه الدراسة ومن بين هذه المصادر أذكر:

- فلسطين في الأدب الجزائري الحديث:عبد الله الركيبي.
- الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث: عمر الدقاق.
- مفدي زكريا شاعر النضال والثورة: محمد ناصر.

وفي الختام لا يسعني إلا ان أحمد الله سبحانه و تعالى وأشكره على عونه لي في انجاز هذا البحث و أتقدم بجزيل الشكر و العرفان إلى الأستاذ المشرف "محمد بوزواوي " الذي لم يبخل علي بنصائحه القيمة

الفصل الأول: الشعر الجزائري الحديث

1- نشأة الشعر الجزائري الحديث:

إن تتبع المسار التاريخي للشعر الجزائري الحديث صعب المنال وهذا راجع إلى تنوع النتاج الشعري نوعا ما، سواء ما كتب في مطلع القرن العشرين، أو ما صدر أثناء الثورة النوفمبرية أو ما نتج بعدها، إضافة إلى تعدد المرجعيات التي يستمد منها الشعراء، والدوافع المساعدة على نظم أشعارهم.

وقد عرف الشعر الجزائري عبر مساره التاريخي الطويل مراحل متنوعة شهد من خلالها خطى واضحة وصادقة في التعبير عن الحياة التي عاشها الشعب الجزائري وراء القضبان في ظل ويلات المستعمر الفرنسي الغاشم، وظلمه المستمر.

وتعدّ حركة الشعر الجزائري الحديث امتدادا لمسار حركة الشعر العربي عامة، فهو يمثل في كلية امتداد عميقا في الذاكرة الشعرية العربية وتراثها الضخم، وامتدادا آخر من ذاكرة الإنسان الجزائري تؤطره خصوصيات المكان والزمان والظروف التاريخية للبلاد"[1] وكذا لمرورها على نحو أنها مرت هي الأخرى بنفس المراحل التي مر بها الشعر العربي في المشرق من السباق إلى النهضة، مرورا بالانتقالية وصولا إلى الحداثة.

بالرغم من أن المغرب العربي أقرب جغرافيا إلى الدول الأوروبية من بلاد المشرق والأكثر اتصالا بها، غير أن الاستعمار الفرنسي لبلدان المغرب العربي حال دون سبق شعوب هذه البلدان إلى النهضة الفكرية، ومن ثم إلى النهضة الشعرية.

فالوجود الاستعماري عمق من ضعف الشعر الجزائري فلم يعد يرتكز لا على عمق الفكرة والمعنى، ولا على سلامة الأسلوب والمبنى ، حيث ساد في شعرهم نوع من الكلفة والصنعة اللفظية، وإهمال البعد الجمالي، فكان ذلك باعثا إلى تفشي الجمود والانحطاط والركود الفكري والثقافي ولم تعد ثمة دوافع إبداعية لقول الشعر أو تطويره والسمو بأساليبه "

[1]- محمد أمين سعيدي، شعرية المفارقة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، دار فيسيرا، ص 15.

وشاع المتكلف واتخذ له طابع التشطير والتخميس والمعارضة والتضمين"[1] هذا من جانب الشكل والمضمون.

أما بالنسبة للغة " فقد كانت في أجود حالاتها إلى الفقه والعلوم الشرعية أقرب منها إلى لغة الأدب والشعر."[2]

وجراء هذا العدوان تجمدت كذلك الموارد الإبداعية للأدباء والشعراء " فقد تشتت كل الجهود العقلية المنتجة وتشرد الأدباء ... وشغل الناس عن الأدب والشعر ولم يعد من همهم التعبير الجميل ... لأن ذلك لن ... عن النار التي يلتظون بها"[3].

وظل الشعر منقطعا عن منابع الإبداع إلى غاية النصف الثاني من القرن التاسع عشر وبدايات القرن العشرين حيث كانت في زوايا متعددة من القطر الجزائري، إرهاصات بوجهة جديدة للحياة الدينية والفكرية ... وتطلع نافذ إلى المستقبل، فقد بدأت المشاعر الصادقة والأماني الوطنية تتجمع وتتحفز في صورة مدرسة حرة، أو منتدى ثقافي أو جريدة وطنية أو حلقة علم"[4].

ومن هنا بدأت تظهر معالم نهضة تبعث الأمل من جديد في شتى المجالات أبرزها المجال الشعري، وتقف أمام مرحلة الضعف والانحطاط لتضع لها حدا، فبدأ الشعر يستند إلى روح جديدة غيرت مواقفه وأبعدته عن الركاكة ليستعيد رونق الإبداع فيه وقوة الكلمة.

إذن فالمطلع على نشأة الشعر الجزائري الحديث يرى أن ظهوره برز مع مطلع القرن العشرين، وهذا بعد تأسيس جمعية العلماء المسلمين على يد عبد الحميد ابن باديس التي تعدّ محطة بارزة في الانتقال التاريخي للجزائر سياسيا، ثقافيا و أدبيا، باعتبار ما كانت تعيشه

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية 1925م- 1973م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، (د،ط)، 1981، ص 21.

[2] - المرجع نفسه، ص 21.

[3] -ا لوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري (1945،1980م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1988، ص 21.

[4] - صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، (د.ط)، 1984، ص13

الجزائر آنذاك، إذ تعتبر هذه الحركة التحديثية المنعرج الحاس الذي غير مسار الشعر خاصة، ومظهر الحياة عامة، " إلى هنا نستطيع القول بأن ارتباط الشعر الحديث في الجزائر بالحركة الإصلاحية (...) لأنه كان من أهداف هذه الحركة تشجيع اللغة العربية نشرها بكل الوسائل (...) وكان الشعر أحد أدواتها وأساليبها"[1].

وفي ظل هذه الحركة الإصلاحية يخطو الشعر الجزائري أولى خطواته نحو التطور، بحيث طور ادواته الفنية وآلياته شكلا ومضمونا.

حيث ابتعدت القصيدة عن المقدمات التقليدية المتكلفة ، وتلخصت اللغة الشعرية من نسبيا من لغة المنظومات العلمية والفقهية، واكتسب التعبير نوعا من الانطلاق الحيوي"[2] ليستمد بذلك تأثيره على الجماهير، وتتخذه حركة الإصلاح أداة أساسية لتوصيل رسائلها الإصلاحية والتوعوية.

وقد تأرجح الشعر الجزائري في مساره نحو التطور بين معارض ومؤيد، فقد تقاسمته نزعتين: نزعة المحافظة والتقليد وكان لها أنصارها المتحمسون لها، ونزعة التطوير والتجديد، وكان لها روادها الداعون لها"[3] إذ أن نزعة التقليد ترى في المحافظة على الأصالة والتراث، ومقومات القصيدة العربية سبيلا إلى المحافظة على العناصر العربية للأمة الجزائرية، أما النزعة التجديدية تسعى وراء تحقيق النهضة، في إطار ما حددته الحركة الإصلاحية ذات الاتجاه الديني.

وعلى الرغم من الصراع بين التجديد والتقليد، إلا أن الحركة الإصلاحية استطاعت أن تتجاوز كل هذا مستمرة في شق الطريق جنبا إلى جنب لتيار المحافظين إلى غاية نهاية مسار الإصلاح والتجديد منتظرة الوقت المناسب للإعلان عن وجودها بظهور الشعر الحر.

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 27.
[2] - المرجع نفسه، ص 34.
[3] -المرجع نفسه، ص 30.

وقد حافظت حركة الشعر الجزائري الحديث على البنية الثقافية العامة التي سادت البلاد وما " يتماشى مع الواقع الاجتماعي"[1] محافظة بذلك على اللغة والدين والشخصية الوطنية التي حاولت فرنسا طمسها آنذاك.

ومع ميلاد هذه النهضة الإصلاحية تولدت في النص الشعري روح جديدة، ففي هذه " المرحلة الحرجة من تاريخ الجزائر أخذ الشعر على عاتقه الدعوة إلى الوحدة الشعبية والوطنية النقية وإلى التحرر من الماضي البغيض"[2] وتولد معها العديد من الأسماء الشعرية الكبيرة، ويأتي على رأس شعراء هذه الحقبة محمد العيد آل خليفة، ومفدي زكريا الذي نقل لنا حياة الشعب ومأساته في مقدمة ديوانه " اللهب المقدس".وغيرهم من الشعراء.

2-اتجاهات الشعر الجزائري الحديث:

من الملاحظ على الشعر الجزائري الحديث أنه اتخذ من نفس المسار الذي سار عليه الشعر الحديث في الأقطار العربية منذ النهضة الحديثة، إذ أنه سار على اتجاهين متباينين في المضمون، الاتجاه الأول كما هو معروف هو الاتجاه التقليدي، أما الاتجاه الثاني فهو الاتجاه الوجداني والذي كان يحمل شعار التجديد والتغيير على عاتقه، والثورة على جميع أشكال التقييد والتقليد (...) وإبراز فلسفته ورؤيته في الحياة والوجود والإنسان"[3].

إلا أن الاتجاه التقليدي كان له الحضور الأبرز في الأوساط الأدبية، وهذا راجع إلى حزمة من الدوافع التي عملت على تقوية ساعده في اعتناق هذا الاتجاه وسلك طريقه، فيما يبقى الاتجاه الوجداني محصورا لدى مجموعة من الشعراء والنقاد الذين تأثروا بالحركة الرومانسية الفرنسية والعربية.

وقد ظل هذان الاتجاهان يسيران جنبا إلى جنب مدة من الزمن.

---

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية،1925م-1975،ص30.

[2] - أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، سنة 2007م، ص42.

[3] - د.كمالزرارقة، الشعر الجزائري الحديث من المحافظة والتقليد إلى الانفتاح والتجديد، مجلة الباحث، فصيلة أكاديمية محكمة، العدد 09، أفريل 2012 م، ص 216.

أ/ الاتجاه التقليدي: إن انتشار الاتجاه التقليدي في الشعر الجزائري الحديث في عشرينيات القرن الماضي له علاقة بالأوضاع والظروف السياسية والاجتماعية والثقافية السائدة في الجزائر آنذاك. فقد ذاع هذا الاتجاه وسط الشعراء، إذ اتخذوا من المحافظة والتقليد شعرا لهم.

بحيث قدموا لنا نصوصا ودواوين شعرية تميزت بطابعها التقليدي على مختلف مستوياته اللغوية منها والإيقاعية، والشكلية فمثلا نجد أتباع الاتجاه قد ساروا على نفس النمط الشرقي في توظيف اللغة التقليدية التي لم تتجاوز الطابع القديم، ومن أمثلة ذلك نجده في قول الشاعر محمد آل خليفة حيث قال:

*سر مع التوفيق فهو الدليل: حصحص الحق وبان السبيل.

*عاطني السراء كأس بكأس: واسقينيها إنها السلسبيل"[1]

فمن خلال البيتين السابقين يتجلى لنا أن الشاعر استعمل ألفاظا قديمة عكس ما يتماشى وعصره. كقوله حصحص، اسقينيها، السراء.... التي تمد بجذورها إلى ماضي الشعر العربي القديم.

أما على مستوى الموضوعات فنجد أن الشعراء لم يخرجوا عن تقليدهم للمواضيع، فنجدهم قد تطرقوا إلى مواضيع الشعرية القديمة على اختلافها من مديح ورثاء ووصف ... وهذا تجلى في قول الشاعر في رثاء أحمد شوقي وحافظ ابراهيم، حيث يقول في قصيدة " ذكرى شاعرين".

*خلق الموت فناء لبقاء: وانقضى فيها مراء الأمراء.

*ولقاء في فراق باعثا: كل نفس أو فراق في لقاء.

[1]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، ص 129.

*دولة الشعر من الشرق انقضت * وانقضى فيها مراء الأمراء

*ولواء الضاد في الشرق انحنى * فانحنى الشرق على ذلك للواء

*عفت الدنيا فلا (شوقي) ولا * (حافظ) غير أحاديث الثناء"[1]

من خلال هذه الأبيات يظهر لنا جليا أن الشعراء أمثال محمد العيد آل خليفة تشبعوا بالنموذج العربي القديم من حيث لمواضيع الشعرية، كما حافظوا عليها وأكدوا بذلك على ولائهم وإخلاصهم للروح التقليدية.

ويعود هذا التحفظ على الاتجاه التقليدي إلى أسباب ساهمت في اكتساحه لساحة الشعر الجزائري الحديث خلال هاته الفترة ومن بين هاته الأسباب نجد:

*التكوين الثقافي السلفي هذه الفترة: درس شعراء هذه الفترة في الكتاتيب والزوايا والمساجد، فكان تعليمهم دينا بحتا بمناهج وأساليب تعليمية دينية، وهذا ما يؤكده محمد ناصر في قوله: " فراحوا يتمسكون بالسلفية فيما يقرؤون وفيما يكتبون وإذا بالشعراء منهم يصدرون عن هذه الثقافة العربية الأصلية يبنون عليها رسالتهم الإصلاحية، ويقيمون عليها نهضة البلاد.

وإذا بفكرة الإحياء والرجوع إلى الماضي تصبح عندهم النموذج الذي يجب أن يحتذى والقبلة التي تجذب العقل والقلب معا"[2].

*تأثر الشعراء الجزائريين بالأدب العربي القديم ويرجع هذا إلى التعلق بالامتداد الثقافي الذي يجمع بين الشعراء الجزائريين والشعر العربي القديم، إذ يعتبرونهم المصدر الرئيسي للغتهم وصورهم الشعرية، والمقوم الأساسي لإثراء متونهم الشعرية،ويعتبرون هذا التراث رافدا قويا برفد اللغة العربية المضطهدة في الجزائر"[3] باعتبارها أحد أبرز المعالم الهوية الوطنية

- محمد العيد آل خليفة، الديوان، المؤسسة الوطنية ، الجزائر،2010م، ص[1]
- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية،1925م-،1981،ص [2]
- د.زرارقة كمال، شعر الحديث من المحافظة إلى التقليد إلى الانفتاح والتجديد، ص 217.[3]

والعربية الإسلامية فيها، ونجد من بين هؤلاء الشعراء الشاعر البشير الابراهيمي الذي كان يدرس إلى انتاج الشعراء القدامى من زاوية اللغة والبناء والتصور.

***تأثر الشعراء الجزائريين بمدرسة الإحياء العربية:**

" لقد كان لمدرسة الإحياء العربية دورها البارز في التأثير على الاتجاه الأدبي الإصلاحي في الجائر ويبرز ذلك من خلال اهتمام حركة الأدبية الإصلاحية بشعراء المشرق العربي أمثال أحمد شوقي، وحافظ ابراهيم ومعروف الرصافي"[1] وهذا إن دل على شيء يدل على أن هذه المدرسة كان لها الأثر الكبير في توجهات أدباء وشعراء الجزائر الذي ينتمون للحركة الإصلاحية.

وهكذا ظلت الحركة الأدبية في الجزائر تحافظ على المفاهيم التقليدية للأدب عامة والشعر خاصة.

ب/ الاتجاه الوجداني:

لم تقتصر الحركة الشعرية في الجزائر على المحافظة على كل ما هو تقليدي، و بعث القصيدة القديمة من خلال الاتجاه الإصلاحي فحسب، بل تعدته إلى ظهور اتجاه ثاني تجسد في الساحة الشعرية وعرف هذا الاتجاه بالقطب الوجداني والذي جاء كرد فعل على الاتجاه التقليدي، والثورة على أشكال التقليد، وبدأت بوادر هذا الاتجاه في الظهور قبيل الحرب العالمية الأولى وأثناءها، وقد تميزت هذه الفترة بظهور نصوص شعرية وصت الواقع المرير إبان هاته المرحلة، ومن خلال النصوص الشعرية التي نظمت في الاتجاه يتضح لنا جليا أن هناك اختلافا واضحا عن الاتجاه التقليدي، ومن بين هذه الاختلافات نجد اختلافا في اللغة الشعرية للاتجاهين، فلم تعد اللغة تقتصر على إيصال الفكرة إلى المتلقي بل أصبح الشّاعر يعي جيدا عملية الإبداع الشعري القائم على الخيال والعاطفة.

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 45.

وهذا ما نجده في قول عبد الله شريط كمثال: إذ يقول

*هكذا يوحي الضياء من الأفق * ويخبو كما خبت أحلامي

*بموت الشعاع في قبضة * الصمت وراء الجمال والآثام

*ورأى الليل قابضا بيده * عنق الكون باردا كالحمام "[1]

فمن خلال هاته الأبيات نجد أن الشاعر اعتمد على التصوير والإيحاء التي تجسدت احاسيسه ومشاعره، فهو من خلال الألفاظ التي استعملها نجد نشاطا وحيوية وحركية في التعبير نحو قوله:

يموت الشعاع في قبضة اليد، أرى الليل قابضا بيديه عنق الكون ...

فهي جسدت بجد الصورة في ذهن المتلقي وإثارة الأحاسيس فيه.

وما ميز لغة هذا الاتجاه أنه يوظف مفردات بسيطة محشوة بالعواطف واللغة التي تهمس في أحاسيس المتلقي، وألفاظ معبرة تعطي دلالات جمالية، وهذا ما نجده في قول الشاعر محمد الأخضر السائحي في قصيدة " وحي الأسى"

*غيرتني الخطوب والآلام * فعلى عهدي القديم السلام

*رحمة الله عني عهدا تولى *وزمانا كأنه أحلام

فهذه الابيات تعبر بشكل صادق عن المآسي والخطوب والأحلام والآلام ... كما أنها ألفاظ متداولة ومفهومة، لا تشكل غموضا عند المتلقي.

ومن خلال المذكورة سابقا نلخص إلى أن شعراء الجزائر قد أبدعوا في هذا الاتجاه شكلا ومضمونا، وهذا نابع من مصداقية التعبير عن المأساة التي عاشوها تحت وطأة المستعمر.

[1]- محمد ناصر، عن الشعر الجزائري الحديث، ص 316.

فقد " هاموا بالطبيعة والوطن، كما تنفست نماذجهم آهات وعكست زفرات معلنة ومكتوبة"[1]ومن الأسباب التي ساعدت هذا الاتجاه بالترجل في ساحة الشعر الجزائري الحديث نجد:

***الرافد العربي:** حيث ساهم هذا الرافد في تشكل هذا الاتجاه الوجداني وبروزه في الساحة الشعرية، وهذا راجع إلى اتصال الشعراء الجزائريين بالنهضة الأدبية بالشعر الوجداني الرومانسي الوافد من المشرق العربي أو المهجر الأمريكي.

وذلك من خلال الاطلاع على ما كان ينشر في الكتب والمجلات الأدبية، التي كانت تصدرها كل من مدرسة الديوان، وجماعة أبولو ... فكانت هذه المدارس لا يقل تأثيرها على شعراء الاتجاه الرومنسي من تأثير حركة الإحياء على شعراء الاتجاه التقليدي.

***تأثير أبي القاسم الشابي:** وهذا نظرا للعلاقة التي تربطه بالشعراء الجزائريين، والتي تتجسد في زمالة الدراسة عند بعضهم، والصدقات الشخصية عن البعض الآخر. وهذا ما وجدناه عند مفدي زكريا التي تربطه به علاقة أخوة وزمالة، ويتجلى تقدير زكريا للشابي في ديوان " تحت ظلال الزيتون" في ثلاث قصائد التي تتحدث عن الشابي.

***الرافد الغربي:** وهذا بتأثر الشعراء الجزائريين بالاتجاهات الغربية بحكم الثقافة الفرنسية التي كانت مسيطرة على المجتمع الجزائري طول الحكم الاستعماري، وقد اقتصر هذا الاحتكاك بالغرب على مجموعة من " الأفراد القلائل من أمثال رمضان حمود وأحمد رضا حوحو والطاهر بوشوشي، وعبد الله شريط، ومبارك جلواح"[2] ويعد رمضان حمود الدافع الأول بهذا الاحتكاك.

[1]- عمر بن قينة، في الأدب الجزائري الحديث، ص 85.

[2]- عبد الله الركيبي، الشاعر جلواح من التمرد للانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، 1986م، ص 203.

3- خصائص الشعر الجزائري الحديث:

إن الباحث في الشعر الجزائري الحديث يلحظ الفرق الموجود في مضامين متنه، والخصائص الفنية التي تميزه والألفاظ المتبعة فيه، وهذا بطبيعة الحال راجع إلى اختلاف اتجاهات هذا الشعر التي كنت قد تطرقت إليها آنفا. إذ يتميز كل اتجاه بطابعه الخاص به حسب كل تطلع يراه مناسبا له، ويخدم ملكته الشعرية، والتعبير عما يجول بخاطره، سواء في الاتجاه التقليدي أو في الاتجاه التجديدي، حيث يتجلى هذا الاختلاف في عدة خصائص كاللغة والصورة الشعرية، وكذا التشكيل الموسيقي.

أ. خصائص الشعر في الاتجاه التقليدي:

***التشكيل الموسيقي:** لقد ارتبط الشعر عند الشعراء المحافظين ارتباطا وثيقا بمفهوم النقاد القدامى. والتمسك بالشعر التقليدي حيث تتساوى في القصيدة الواحدة أزمة النظم. وهذا راجع إلى المقياس التقليدي المعروف بـ " قول موزون مقفى يدل على معنى"[1] " مع مراعاتهم لعناصره الأربعة باللفظ والمعنى والوزن والقافية والتي تمثل عنصرين منهما هو الوزن والقافية"[2].

ونجدها تسير في النهج الذي سارت عليه القصيدة العمودية التقليدية في محافظتها الصارمة على العروض التحليلي، والتزامها الشديد بالقافية"[3] ومن أمثلة ذلك نجده عند الشاعر الهادي السنوسي قائلا:يخاطب ابن باديس بعد نجاته من محاولة اغتياله:

*خيرت البلاد وأضرارها * فأقبلت تندب أحرارها
*وأرسلتها نظرة حرة * رعى الله في الحر أفكارها
*فصورت للناس آلامها * وأجليت للعين أغوارها"[4]

- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص[1]
- مصطفى بيطام، الثورة الجزائرية في الشعر العربي 1954-1962م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 428.[2]
- الشعر الجزائري الحديث ، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 798.[3]
-صالح خرفي، الشعر الجزائري الحديث، ص 77.[4]

***اللغة الشعرية** :إن اتجاه المحافظين دفع بشعراء الجزائر في المرحلة الإصلاحية إلى انتهاج نهج القصيدة التقليدية القديمة، ويظهر هذا جليا في صياغتهم الشعرية سواء في طبيعة العبارة أو في طبيعة اللفظة، فانتصوا على التراكيب اللغوية الجاهزة مما جعلهم يستثمرون اللغة استثمارا فنيا.

وقد تميزت لفظة هذا الاتجاه بالأسلوب التقريري المباشر وهذا يرجع إلى مفهوم الشعراء لوظيفة الشعر ورسالته في الحياة وهي في أغلبها تفتقر إلى الإيحاء والصور الفنية " لأن شعرهم كان موضوعيا غايته الإصلاح، والأمثلة على ذلك تؤيد ما نقول، يقول الشاعر محمد آل خليفة:

*رحم الله معشر الشهداء * وجزاهم عنا كريم الجزاء

*وسقى بالنعيم منهم ترابا * مستطابا معطر الأرجاء"[1]

ومن خلال هذه الأبيات كيف أن اللغة جاءت تقريرية مباشرة تفتقد اللمسة الفنية.

***الصورة الشعرية:** لقد تميز هذا الاتجاه بغياب قوة التأثير والإيحاء لدى شعراء هذا المذهب، بحكم أنه يعتمد على مخزون الذاكرة التقليدية التي كانوا يستمدون منها التعابير الشعرية " حيث تخزن آلاف الصور المحفوظة والقوافي الجاهزة من خلال قراءته الطويلة في التراث"[2]

يقول العيد آل خليفة:

فبالك فردوس تحولت منه: ويا وحشنا من أغرب تعب"[3]

- مسعودي رمضان، اللغة الشعرية في معمار الشعر التقليدي والشعر الوجداني الجزائري، مجلة الذاكرة، جانفي 2017م، ص 215. [1]
- بوجمعة بوبعيو، توظيف التراث في الشعر، مطبعة المعارف، عنابة،ط2007،1،ص87.[2]
- محمد العيد آل خليفة، شعراء الجزائر، ص 289.[3]

فالمقطوعة هنا تجسد صورة الجزائر كونها جنة الحسان هدوئها واستقرارها، وكيف تحولت مكان بالي تنعق فيها الغربان السود التي تمثل الاستعمار الفرنسي. أي أن شعراء هذا الاتجاه اعتمدوا في بناء الصورة على الأدوات البلاغية القديمة " كالمجاز والتشبيه والاستعارة والكتابة"[1].

ب. خصائص الشعر في الاتجاه الوجداني:

1/ التشكيل الموسيقي: جاء التشكيل الموسيقي في الاتجاه الوجداني معاكسا تماما لما جاء في الاتجاه التقليدي، حيث نجد شعراء هذا القطب قد ثاروا على التقليدية محاولين " الخروج عن الأوزان الخليلية المعروفة، إلى إيقاع موسيقى جديدة لا ينتمي إلى أي بحر من البحور "[2] والابتعاد عن توحيد القافية أي اعتماد على التعدد القوافي في القصيدة الواحدة.

فمثلا عند حمود رمضان " نجده يطبق نظريته التي دعا إليها، وهي أن الشعر الصادق لا يتقيد بالوزن والقافية"[3] وهذا نجده في قصيدته " دمعة حارة على الأمة والشرق " قائلا:

*بكيت ومثلي لا يحق له البكاء * على أمة مخلوقة للنوازل

*بكيت عليها رحمة وصبابة * وأني على ذا البكاء غير نادم

*ذرفت عليها أدمعا من نواظر * تساهر طوال الليل ضوء الكواكب

والملاحظ على هذه الأبيات أن رمضان حمود خرج عن الإطار لموسيقي التقليدي، حيث نجده قد تخلى عن وحدة القافية وعددها في قصيدته حيث نجد القافية في هذه المقطوعة متأرجحة بين اللام والميم والباء على التتابع طوال القصيدة.

[1] - محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية، ص 289.
[2] - المرجع نفسه، ص 119.
[3] - المرجع نفسه.

***اللغة الشعرية:** اللغة التي كان يكتب بها رواد هذا الاتجاه التحديدي تختلف تمام الاختلاف عن اللغة التي كان يكتب بها أقرانهم في الاتجاه التقليدي، حيث أن اللغة في هذا القطب الوجداني لم تعد تقتصر على توصيل الفكرة للمتلقي، بل تعدته إلى نقل أحاسيسه ومشاعره، والتعبير عن عواطفه بحرية وطلاقة.

كما تميزت اللغة في هذا الاتجاه بالتحول من التقرير إلى التصوير والإيحاء، مما جعلها ترتدي ثوب اللغة الهامسة المفعمة بالمشاعر الجياشة التي تلامس روح المتلقي.[1]

يقول الشاعر عبد الله شريط:

*هو ذا الصيف يا فؤادي ينساب يجني مفعما باللهيب.

*قد تولى عهد الربيع الذي شاخ سراعا، ومال نحو الغروب"

" إن كل صورة في هذه المقطوعة نحس بها وكأنها قطعة من وجود الشاعر نفسه"[2] فهي مقطوعة مليئة بالمشاعر والأحاسيس الاكتئاب والقلق والبئس.

***الصورة الشعرية:** لقد أولى الاتجاه التجديدي كل العناية بالصورة الشعرية في أعمالهم، وبهذا يمكن القول أن الشعراء الجزائريين قد حققوا بعض التطور الفني للقصيدة في الشعر الجزائري الحيث، حيث توحدت الصر الشعرية بالانفعالات النفسية عند الشاعر، فتوسمت بالصدق والحيوية، وبهذا أصبحت الصورة " جزء لا يتجزأ من شخصية الشاعر وشعوره وتفكيره"[3].

- الرماد، ص 109: نقلا عن الشعر الجزائري الحديث، محمد ناصر، ص 511.[1]
- محمد ناصر، الشعر الجزائري الحديث، ص 511. [2]
- المرجع نفسه، ص 498.[3]

فالصورة في الشعر الوجداني شعورية لا عقلية فكرية فالشاعر الحق هو الذي ينقل أحاسيس ومشاعره وأفكاره ويبتعد عن الصيغ الجاهزة وبذلك " يكون وفيا لذاته ولعملية الابداع الفني الذي هو في الحقيقة أثر يخلفه الإحساس والشعور"[1].

يقول الشاعر محمد الأخضر السائحي في قصيدة " عيد ميلادها "

*همست في مسمعي * أعذب أنغام الحياة

*كيف يمضي عمري لو لم * تهلب في وجودي؟

*كان كالصخر تنزاح * فتمضي في جمود

*إنه عيدي أنا..... * عيد صفائي وسلامي"

إن هذه المقطوعة مفعمة بالأحاسيس والمشاعر الصادقة من روح الشاعر إلى محبوبته في يوم ميلادها، فهو يتساءل كيف كانت الحياة لولا وجودها ويعتبرها أنها نغمة حياته، وغيرها من العواطف التي تبعث بها هذه الأبيات.

[1]- عبد الحميد هيمة، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة، الجزائر، 2005، ص 76.

الفصل الثاني:

البعد القومي في الشعر الجزائري

أولا مفهوم القومية لغة واصطلاحا:

أ/ لغة: القومية مشتقة من جذر كلمة " قوم" التي تعني الجماعة من الناس، حيث ورد في نص لسان العرب " القوم: الجماعة من الرجال والنساء جميعا، وقيل هو للرجال خاصة دون النساء، وقوم كل رجل: شعبته وعشيرته"[1].

*وفي المنجد الوسيط: " قوم جمع أقوام: جماعة الناس تربط بعضهم ببعض وحدة اللغة والمصالح المشتركة، لم يكن لهؤلاء مكان يأوون إليه، قومي: وطني.

*عيد قومي: من يعمل على نصرة قومه ويدعو إلى استقلال بلاده.

*قومية: رابطة اجتماعية تنشأ من الاشتراك في الوطن واللغة والتاريخ " القومية العربية"[2]

*أما في المعجم الفني: فتعني كلمة قومي:

" (ق، و، م): منسوب إلى القومية، متم إليها.

*فكر قومي: فكر بمجد القومية ويدافع عنها

*هو قومي: " متشبث بمبدأ القومية "[3]

من خلال التعريفات اللغوية السابقة يتجلى لنا أن القومية هي العلاقة التي تربط بين جماعة من الأشخاص أو الأوطان توحدهم ثقافة ولغة وتاريخ واحد.

ب/ اصطلاحا: " القومية بمفهومها البسيط تعني شعور مشتركا بين جماعة من البشر، بأن ثمة ما يجمعهم ويؤلف بينهم ليكونوا أمة واحدة متميزة عن سائر الأمم"[4].

[1] - ابن منظور، لسان العرب، تح عمر أحمد الحيدري، مراجعة عبد المنعم خليل ابراهيم، دار الكتب العلمية، م (ق و م)، مج7، ط1، لبنان،2005، ص 263-264.

[2] - صبحي جموي، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار المشرق، ط2، لبنان، 2001، ص 1197.

[3] -

[4] - عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، مكتبة دار الشرق، ط2، 1963م، ص 179.

وهذا معناه أن القومية ذات طابع اجتماعي تجسد هوية مشتركة من حيث اللغة والوطن والتاريخ، وهذا ينتج عنه شعور بالانتماء والألفة بين هؤلاء الأشخاص.

ويعرفها هنري فيرتشلد في قاموس علم الاجتماع كالآتي:

" هي جماعة من الناس تربطهم روابط واضحة من الثقافة المتجانسة، والقومية الصحيحة تستمد حيويتها من شعور افرادها بوحدة نوعهم، ومن التشابه الأساسي بين تقاليدهم وطباعهم، واصلاح القومية يمكن أن يدل على المجموعة البشرية نفسها، كما يمكن أن يدل على المركب الثقافي الذي يوجد بينها"[1].

ومن هذا التعريف نعي جيدا أن للعادات والتقاليد دورا بارزا في تعزيز العلاقات بين الأشخاص والأمم، فهذا يعني الاشتراك الثقافة وهذ ما يجعل هذا الترابط متجانسا بشكل وحدتهم القومية.

" أما بالنسبة للقومية العربية فقد تحدث عنها العديد من الأدباء نجد من بينهم محمد تيمور حيث يقول في هذا الصدد " أن القومية العربية قد أصبحت ويجب أن تصبح النبي الذي نتلقى عنه رسالة الحياة،ما من شك في أنه توحيد المناهج التعليم العام وخططه (....) ووحدة اللغة تجعل من هذا التوحيد أمرا ميسورا"[2].

كما تحدث محمد مندور عن القومية العربية قائلا أنها يجب أن تقوم على الثقافة وتبادلها على أوسع نطاق وذلك لأن هذا التبادل هو وحده الذي يستطيع تعريب العقول وتوحيد مفاهيم الحية على نحو نرجو أن تنبثق منه الفلسفة الحيوية التي نبغيها"[3].

*فمن خلال أقوال كل من محمد تيمور ومحمد منذور يتضح لنا جليا أن الرابط الذي يقوي علاقة الأمة العربية ويلم شملها هو اللغة التي تعتبر الشيء الأساسي الذي يجمعها ببعضها.

- سعيد اسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، عدد 113، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1987 م، ص 102.[1]
- محمد مندور، معارك أدبية، دار النهضة للطباعة والنشر، دط، مصر، ص 301.[2]
- المرجع نفسه.[3]

ولكي يكتمل هذا الارتباط ويشكل قومية عربية متجانسة فلا بد من تبادل الثقافة بين الدول العربية التي تساهم بشكل كبير في تكاثف هذه الأمة.

إذن فالقومية بمفهومها العام هي " الانتماء إلى أمة معينة والتعلق بها وبمقوماتها، اللغة، الأرض، الأصل، والشعور بالانتماء"[1]

*أما بالنسبة للقومية في مجال الأدب فتعني " التمسك بالموضوعات التي تهم الشعب الواحد، وكل ما يقوله الأديب دفاعا عن أمته هو من الأدب القومي"[2] أي الحديث عن كل ما يهم العرب كأمة لها اهتمامات مشتركة وهذا معناه أن مهمة الأديب هي طرح قضايا أمته والدفاع عنها، " وتعميق الإحساس لدى أبناء الأمة العربية بالانتماء إلى الأمة العربية الواحدة، ووعيهم بمفهوم القومية العربية ومقوماتها، وتحريكهم بالعاطفة والوعي معا لترجمته في سلوكهم وممارستهم أعينهم الهدف القومي الأكبر: تحقيق الوحدة العربية الشاملة"[3].

*ولعل من بين الأجناس الأدبية التي اتخذت من القومية موضوعا لها نجد الشعر، إذ يعتبر " الشعر في مقدمة الفنون استجابة لإبراز رابطة النسب القومي والاعتزاز بوحدة الأصل "[4].

فقد جسد ذلك العديد من الشعراء من خلال تناول قضايا الأمة العربية والدفاع عنها والافتخار بأمجاد العرب ومكارمهم وبطولاتهم، ومن بين الشعراء الذين تغنوا بالقومية في شعرهم نجد الأمير عبد القادر الذي افتخر بالقومية العربية في قصيدة له بعنوان " بنا افتخر الزمان " يقول: *ورثنا سؤددا العري يبقى: وما تبقى السماء ولا الجبال

*فالبجد القديم علت قريش: ومنا فوق ذا طابت فعالُ

*وكان – دوام الدهر – ذكر: بذا نطق الكتاب ولا يزالُ"[1]

- محمد بوزواوي، قاموس مصطلحات الأدب، دار مدني، د ط، 2003م، ص 217.[1]
- نفس المرجع، ص 217.[2]
- مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، سلسلة عالم المعرفة، عدد 188، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1994م، ص 15.[3]
- عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 1945.[4]

فمن خلال هاته الأبيات يجسد لنا الأمير عبد القادر قوميته من خلال افتخاره بالغرث التلبد للعرب وأخلاقهم ومكارمهم " الافتخار بالأمة العربية والإسلامية" ويقول أيضا الشاعر محمود العقاد متغنيا بالقومية العربية في قصيدة نظمها في عيد الاستقلال سوريا 1930م

– إنّا بنو وطن تقرب بينه * سيناء في قدسية وجلال

– الشمس تجمع في المطالع بيننا * والأرض في حرم الجوار الغالي

– ومعالم التاريخ في كتب وفي * عقب وفي نصب، وفي أطلال

– ولسان صدق في اللغات تألقت * فيه القلوب تألق الأقوال

– شكواكم شكواي، أو سلوكم * سلواي، أو أشغالكم أشغالي

– ومطالب الفائزين في بيدائكم * كمطالي، ومالكم كما لي"[2]

وهنا الشاعر قد أتى على جميع المقومات القومية العربية من خلال هاته الأبيات، حيث تحدث عن اشتراك العرب في الأرض واللغة والتاريخ وكذا العواطف والأفكار والمصائب الأهداف والمصير.

ثانيا: بدايات البعد القومي في الشعر العربي الحديث:

" إن البحث في أصل الشعور القومي عند العرب المعاصرين يرجع بنا إلى جذور له عميقة، تمتد في الماضي ما يقرب من اربعة عشر قرنا حين شعر العرب بكيانهم الموحد وشخصيتهم المتميزة لأول مرة على أثر ظهور الإسلام . وهكذا عرف الشعور القومي الكامن من نفوس قبائل العرب طريقة إلى التبلور بسرعة منذ ذلك الحين"[3] غير أن هذا الشعور القومي لم يكن

[1] - الأمير عبد القادر الجزائري، ديوانه، جمع تحقيق، شرح تقديم العربي دحو، ط3، الجزائر، (6) 2007م، ص 46.
[2] - عباس محمود العقاد، وحي الأربعين، مؤسسة هنداوي، د ط، مصر، 2012.
[3] - عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 35.

مألوفا لدى الشعراء حتى القرن التاسع عشر"[1] وهذا يوحي إلى أن القومية كنزعة شعرية لم تكن متداولة لدى الشعراء الأقدمين " إذ ان مفهوم الشعر لم يكن يعدو في ذهنهم ما توارثوه من الأغراض التقليدية"[2] القديمة.

" وعلى هذا فإن بواكير الشعر القومي بنزعته العربية الصافية"[3] بدأت بالظهور عند العرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر"[4] وذلك نظرا للأوضاع المتدنية التي كانت تعيشهاالدول العربية من الاضطهاد استعمار.

*إذ تعد حملة نابليون بونابرت على مصر بداية التأريخ للعصر الحديث، فقامت هذه الأخيرة بإيقاظ " الشعور القومي العربي وبعث فكرة استغلال العرب"[5].

وعليه التزم الشاعر العربي الحديث بقضايا أمته بسبب تلك الظروف السياسية التي أنهكت كاهل العرب في العصر الحديث، والتي كانت سببا في إحداث اثر لبلورة هذا الشعور القومي والذي لزمه الشعور الوطني على حد سواء.

سواء تعلق الأمر باحتلال الأجنبي للأرض العربية لاسيما البريطاني والفرنسي أو الاستيطان الصهيوني.

بحيث لا نكاد نجد في القطر العربي شاعرا لم يشغله هذا الموضوع، فقد انغرست فيه ملامح العروبة ومشاعر الانتماء القومي، حتى أصبح المنظور القومي هو المدخل الأساسي للولوج إلى عالم الشاعر الأدبي سواء على الموقف الفكري أو الأداة الفنية.

ومن هذا المنطلق كان الشاعر العربي لسان أمنه يغضب لها ويثور لكرامتها، ويفرح لانتصارها حيث " بدأ الشعراء ينظمون القصائد تترى في الشعر القومي ولم تكد شمس القرن

- المرجع نفسه، ص 18.[1]
- المرجع نفسه، ص 18.[2]
- عمر الدقاق، الاتجاه القومي في الشعر العربي الحديث، ص 19.[3]
- محمد محمد حسين، الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، دار حمامي،ج2، ط2، الأردن، 1988، ص 97.[4]
- محمد الغزالي، حقيقة القومية العربية والأسطورة، البحث العربي، نهضة مصر، ط3، مصر، 2005، ص 4. [5]

التاسع عشر تؤذن بالمغيب حتى أخذت جذور الوعي القومي تعمق في النفوس، وكانت طبقة أخرى من الشعراء قد تسلمت راية الشعر القومي وأخذت تبشر دون هوادة بالتحرر والاستقلال"[1].

ومن مظاهر تلك الشعور العربي الذي طغى على نفسية الشعراء العرب نجد الشاعر " شفيق جبري الذي يعتبر أحد الشعراء القومية العربية، فنشعره يتميز بالحس القومي، ويعبر عن وحدة البلاد العربية حيث يقول:

*محضتك يا بغداد ودي على النوى * وإني إن أمحض ودادي أصدق

*فما بردى لولا مناهل حلق * لظمآن إن يشرب من الماء بشرق

*أولا دجلة لولا مناهل حلق * بمجرى بورد كالرحيق مصفق

*تفرقت الأوطان والأصل واحد * فهل تلتقي الأوطان بعد تفرق" [2]

فمن خلال هذه الأبيات يتجلى لنا الشاعر يرفض رفضا قاطعا تجزئة البلاد العربية ويعترضها كتلة واحدة ، لا يفرق بين وحدة التراب العربي.

وكذلك نجد الشاعر محمد البزم الذي يدافع عن العروبة من مكان المستعمرين الذين يحاولون طمس المقومات العربية بقول:

*شد للعروبة ما ينسى بني إرم * مجد تغنت به في دهر إرمُ

*من الجزيرة ما ينصبون لها * مجد تغنت به في دهرها إرمُ

*فالجزيرة أعداءُ بروفهم * وأدُ العروبة، لا غُروا ولا كرموا

*يبغون للضاد ما يبكي الأنى له * كأنما الضاد في اسماعهم حممُ"[1]

[1]- عمر الدقاق، الاتجاه القومي في اشعر العربي الحديث، ص 25.

[2]- ابراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار المسيرة، ط2، 2007، ص 220.

فهنا الشاعر يرصد لنا المؤامرات التي تدبر من طرف المستعمر لطمس معالم العروبة ومقوماتها، وفي مقدمتها اللغة العربية.

*كما أن الراع الغربي لم يتوقف عند طمس المقومات العربية والإسلامية وتشبث العرب فحسب إنما تعداه إلى إقامة دولة صهيونية على أرض فلسطين، لتدخل الدول العربية بعد استقلالها من الاستعمار الغاشم في صراع مع الاستيطاني الصهيوني، وهذا إن دل يدل على ان العرب متوحدون رغم التفرقة التي سببتها السياسة الاستعمارية، فهم متوحدون من أجل فلسطين، فكانت كل ثروة يخوضها الشعب الفلسطيني ضد الصهاينة يصل صداها إلى الادباء العرب، حيث نجد الشاعر محمد مهدي الجواهري يقول في ثورة فلسطين 1932م هذه الأبيات:

*فاضت جروح فلسطين مذكرة * جرحا بأندلس للآن ما التأما

*يا أمة غرها الإقبال ناسية * أن الزمان طوى من قبلها أمما

*كانت حالمة حتى إذا انتهت * عضت نواجدها من حرقة ندما

*سيلحقون فلسطين بأندلس * ويعطفون عليها البيت والحرما"[2]

ومن خلال هاته النماذج المطروحة يمكننا أن نقول أن الشعر العربي الحديث يتخذ من لوعي القومي صوره ومعانيه/ ودلالاته في التعبير عن الروح العربية والإسلامية في كفاحها ونضالها، كل هذا من أجل تكوين أمة حضارية وإنسانية تواكب الغرب تمتاز بثرائها وفكرها وتاريخها، وهذا هو اليقين المأثر بقوة في وعي الشعراء العرب المحدثين.

[1]- ابراهيم خليل، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، ص 219.

[2]- سعدون حمادي وآخرون، دور الأدب في الوعي القومي الأدبي، مركز الدراسات الوحدة العربية،ط4، لبنان، 1986م، ص 311.

وتلك هي الرسالة التي تجلب في المتن الشعري لهم بالرغم من تعرضهم أحيانا لغيوم وشتات، لكنهم ظلوا متشبثين بحلمهم وإطلاق العنان له في عمق التساؤل عن هموم وطنهم والتحولات القومية العربية.

ثالثا: البعد القومي في الشعر الجزائري:

" إن الجزائر في فترة استعمارها عرفت انعزالا عن محيطها العربي والإسلامي، بحيث أصبحت وكأنها في سجن يحيط بها من كل جانب، فكان لهذه العزلة تأثيرا سلبيا تجسد في كل مناحي الحياة سواء على الصعيد السياسي أو الاجتماعي أو حتى الأدبي إلا أن الجزائر لم تقف مكتوفة الأيدي تتحصر على ما يصيبها"

" فقد كانت هناك نافذة صغيرة تتطلع منها الجزائر إلى الخارج (...) لقد كان تطلعا نحو جهة واحدة معينة هي جهة الشرق، وكان تعبيرا عن إحساس وجداني وأخوي تثيره الروابط والمصائر المشتركة"[1] فكان للأدب دور في المحافظة على هذه الروابط ويثيرها جيلا عن جيل، ولهذا لم يتخلف الشعراء عن مواكبة الأحداث التي تقع في غير بلدانهم، رصدا للأوضاع السياسية والاجتماعية التي تمر بها الأمة العربية" وكان الشعر وسيلة قوية في توجيه الجماهير لأنه عبر بصدق ومعاناة عن الهم العربي الذي يحمله شعراؤنا"[2]

وهذا ما تمكنت منه الجزائر في هذه الفترة بحيث وبالرغم من الانحصار وسياسة الاستعمار إلا أنها لم تنطوي على نفسها وألمها، بل شاركت مشاعرها وأحزانها لأفراحها من الأمة العربية، فشاركتهم المعاناة والألم لأنه ألم واحد وجرح واحد ألم بالأمة العربية، فاهتمت بالقضايا الوطنية ورفعت صوتها إلى الاهتمام بالقضايا العربية، فأسالوا شعراء الجزائر حبرهم وأطلقوا العنان لمشاعرهم وتقاسموا مع إخوانهم العرب الروح القومية التي تجمعهم، ودافعوا عن صوت الحق، وتغنوا بأمجاد هذه الأمة الواحدة، والمتتبع للتجارب الشعرية الجزائرية

[1] - محمد العيد آل خليفة، الديوان، دار الهدى، الزائر،2010، ص 350.
[2] - نور الدين السد، القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر،1986م، ص13.

يلحظ القضايا العربية التي تفاعل معها الشعراء الجزائريين، فكان الشعر صدى لها، وأول هذه القضايا هي قضية فلسطين التي أصبحت امتحان عروبة العرب، وجرحاه يندمل في قلوبهم.

والقضية الثانية هي وحدة العروبة التي صارت حلم كل عربي مخلص وغيور على وطنه وإسلامه وعروبته.

أما بالنسية القضية الثالثة فهي تخص وحدة المغرب العربي.

أما رابع هذه القضايا هي قضية الاستقلال الذي كان غاية كل الدول العربية الواقعة تحت وطأة الاستعمار، وكان الهدف السامي والقاسم المشترك التي تسعى إليه هذه الأمة العربية.

***قضية فلسطين:**

" لسنا بحاجة إلى أن نعدد الروابط التي تربط بين فلسطين والجزائر (...) كما أننا لا نحتاج إلى أن نضرب أمثلة للمقارنة بين حالة الجزائر وحالة فلسطين"[1] فعلاقة هذين البلدين لها طابع خاص تجسده الروح الواحدة والقضية الصامدة والنخوة الجامعة.

فكما هو معروف الجزائر مع فلسطين ظالمة أو مظلومة فهذا الشعار يسري في دم كل جزائري غيور على وطنه وقوميته.

وهذا النزعة الرابطة بين البلدين جسدها الأدباء والشعراء من خلال أعمالهم الفنية، بحيث حظيت فلسطين بالاهتمام من طرف الجزائريين، خاصة إثر النكبة بعد الحرب العالمية الثانية " فمن الأدباء الجزائريين نجد الابراهيمي الذي اسال حبره لأجل فلسطين فكتب العديد من المقالات التي تميزت بالتحليل الواقعي والعمق التاريخي لمآلها ومآل العرب.

[1]- عبد الله الركيبي، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص 41.

كما نجد للشعراء انفعال في هذه القضية، والتي عبروا عنها في شعرهم باعتبار محنة فلسطين أول محنة كشفت تآمر الغرب الصليبي مع الصهيونية العالمية لحبل هذا الكيان المصطنع خنجرا في قلب الأمة العربية.

ومن بين الشعراء الجزائريين الذين عبروا بصدق عن فلسطين نجد الشاعر محمد العيد آل خليفة الذي تعددت قصائده حولها فنجده يقول في قصيدة " استوح شعرك"

هلا أغثت القدس منك بلغته غيري على الشعب هناك مروع

*القبلة الأولى تضج وتشتكي * من قسمة المستأثر المستنفع

*ضمي احتجاجك لاحتجاج حماتها * واستنكري تقسيمه واستفظعي"[1]

فهذه القصيدة ألقاها الشاعر عام 1937م وفيها بطلب الشاعر من الجزائر أن تسرع لنصرة القدس التي تئن تحت وطأة الظلم الصهيوني.

– أما في عام النكبة 1948 رفع الشاعر صوته مرة أخرى ودعا من فلسطين إلى التحلي بالصبر والتأمل في أبناء الأمة العربية الذين ينتظرون النداء لينقضوا ويقطعوا دابر العدو فنجده يقول.

*فلسطين العزيزة لا تراعي * فعين الله راصدة تراعي

*وحولك من بني عدنان حبذا * كثير العد بزار كالسباع

*أذ استصرخته للحرب لبى * وخف إليكم من كل البقاع"[2]

وكذلك من الشعراء الذين التفتوا بمشاعرهم النبيلة اتجاه فلسطين نجد الشاعر أحمد سحنون الذي بدا متحمسا في الدفاع عن القضية الفلسطينية قائلا:

[1]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 147.
[2]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 334.

*لقد شبت بأرض الشرق نارا * لها القبلة الأولى التهاب

*وانتم خير من خاضوا لظلها * فكيف يروعكم هذا الذباب

*سيغدو الموقودون لها وقودا * ومن رام الخراب له الخرابُ"[1]

فمن خلال هذه الأبيات يبدو لنا الشاعر متحمسا مندفعا لهذه القضية، وأخذ على عاتقه تحميس المشاعر على خوض الحرب والسخرية بالصهاينة الذي نعتهم بالذباب.

هكذا كانت نظرة شعراء الجزائر إلى فلسطين وجرحها، الذي لم تلهه قضايا وطنه الجريح عن قضايا أمته العربية والإسلامية التي تعد ملاذه الأخير نحو التحرر وتحقيق الاستقلال.

*الوحدة العربية: إن وحدة الوطن العربي يمكن إرجاعها إلى عصر الخلافة الراشدة، لكن ومع ابتعادهم عن عامل وحدتهم وعما يحفظ تماسكهم تجزأ العرب وتفرقوا.

ومع ذلك وبفضل الإسلام جمع الشمل مرة أخرى وتوحدت قواهم الاجتماعية والسياسية والعسكرية، فسادت العرب القرون وابتعد الطامعون، لكن سرعان ما بدأت هذه الأمة تنحرف عن الاسلام وتنازل هنه فشلت وذهبت ريحها.

لكن مع مطلق القرن الماضي تعالت أصوات المصلحين إلى ارجاع الأمة لسابق العهود ومن بين هؤلاء الصلاح نجد دعوة الشعراء، فتصدروا للترويج لفكرة وحدة الأمة فقد ذهبوا في مواضيعهم إلى اعتبار أن وحدة العروبة دين ومن ابتعد عن عروبته اعتد كافرا. يقول أحد الشعراء

*وحدة الصف في العروبة دين * كل من خان وحدة العرب كافر"[2]

" ومن ثمة كانت أحاسيس المشاعر القائمة على تمجيد ماضي العرب والتعلق بالعروبة"[1]

[1]- أحمد سحنون الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م، ص 125.
[2]- سلمان نور، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، ص 340.

ومن الشعراء الجزائريين الذين اهتموا بهذا الجانب نجد الشاعر محمد العيد الذي يعابر من الأكثر الذين اهتموا بموضوع الوحدة العربية، نظرا للحنين القوي الذي نجده في شعره، ففي قصيدة نشرت سنة 1936م يدعو فيها المسلمين ملة واحدة، وبسبب بعدهم عن دينهم فقدوا زمام أمورهم وحادوا عن الحق، ولو عادوا إليه لرأبوا صدعهم،وصاروا سادة العالم كما كانوا يقول:

*ارى داء الشقاق بنا تفشى * فكيف يكون لنا منه التوقي؟

*بني الإسلام خلو الخلق إنا * إلى الإسلام نفرى دون فرق"[2]

*ولو أنا على الحق اتفقنا * لكنا قادة الدنيا بحق"[3]

وفي قصيدة أخرى للشاعر نجده يشيد بالماضي الذي يربط الجزائر والوطن العربي، والإشادة بالحضارة التي كان العرب أسبق من غيرهم إليها يقول في القصيدة " في أذن الشرق " سنة 1935م

"*إن للعرب في الحضارة قدما * قد ما للورى عليها استناد

*كم وعوا في الحجاز من قبل روما * واثينا من محكمة وافادوا

*والأرض كل ما عاد * من عاد عليها وشاده شداد"[4]

هكذا عبر شعراء الجزائر عن عروبة الهوية وعروبة الانتماء التي تمثلت في الوطن واللغة والدين وفي التاريخ والمستقبل.

[1]- بيطام مصطفى، الثورة الجزائرية في شعر المغرب العربي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998، ص 248.

[2]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 84.

[3]- محمد العيد آل خليفة، الديوان، ص 84.

[4]-المصدر نفسه، ص 119.

***قضية المغرب العربي:** تعتبر قضية المغرب العربي الكبير من القضايا التي شغلت بال الشعراء الجزائريين، إذ يعتبر هذا الوطن أمة واحدة وجنس واحد ودين واح، خلق الله فيه كل أسباب الاتحاد والتضامن، فتغنّى الشعراء بهذه الوحدة المغاربية التي تجمعهم.

فمن الشعراء الذين انشغلوا واهتموا بهذه القضية نجد الشاعر مفدي زكريا الذي اعتبر قضية المغرب العربي من أولوياته بعد الثورة الجزائرية. فيرى مفدي زكريا أن الوحدة المغربية قضية ضاربة في القدم، وهذه الوحدة التي يدعو إليها الشاعر هي في صميمها وحدة عربية، تجمعهم وحدة الهدف والمصير. يقول:

*نهوضا بني افريقيا من سباتكم * فإن عيون الحادثات بمرصاد

*نهوضا بنا نحو الحياة ونظرة * إلى أمة أمست ضحية أحاد

*كفانا شقاء من وبال شقاقنا * شقيقة أرواح قسيمة أكباد"[1]

كما نجد الأديب صالح خرفي مبينا حقيقة العروبة في بلاد المغرب العربي وعلاقتها بباقي ثوبتها " عروبة المغرب العربي عروبة أصلية خالدة، لأن الإسلام كان ولم يزل المدخل التاريخي لها، أصلها بقوة الروح وخلدها بصلابة العقيدة، ظلل أرصدتها بالدستور السماوي وربط مقومها الأساسي بلسان عربي مبين"[2].ويقول الإمام عبد الحميد بن باديس في إحدى قصائده:

*أشعب الجزائري روحي الفدا * لما فيك من عزة عربية

*بنيت على الدين أركانها * فكانت سلاما على البشرية[3]

[1]- مفدي زكريا، قصيدة نهوضا بني إفريقيا، 1932، ص 16.

[2]- صالح خرفي، في رحاب المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م، من محاضرة: عروبة المغرب العربي، ص 9.

[3]- المرجع نفسه، من محاضرة عبد الحميد بن باديس والعروبة، ص 141.

وهكذا أثار الشعراء الجزائريون عروبة الوطن المغاربي وتغنوا بوحدته، وتحدثهم عن علاقة الجزائر بهذه الأمة الموحدة وارتباطهم بها.

الفصل الثالث

تجليات البعد القومي في ديوان اللهب المقدس

1- نبذة عن حياة الشاعر مفدي زكريا

أ/ مولده ونشأته (1908-1977م)

شاعر الثورة الجزائرية، ومؤلف النشيد الوطني " قسما" اسمه الشيخ زكريا بن يحيى الشيخ سلمان"[1] ولد يوم الجمعة " 12 جمادى الأولى 1326 هـ "[2] الموافق لـ 12 جوان 1908 ببني يزقن أحد قصور السبع بوادي ميزاب (جنوب الجزائر تعود أصوله إلى مدينة تيارت (غرب الجزائر) لقب بـ " مفدي " فاصبح لقبه الأدبي " مفدي زكريا " الذي اشتهر به.

عاصر زكريا الشعراء التونسيين المعروفين وارتبط بهم مثل الشاعر العربي الكبادي، وأبو القاسم الشابي.

*بدأ حياته التعليمية في الكتاب بمسقط رأسه فحصل عبى شيء من علوم الدين واللغة، ثم رحل إلى تونس وأكمل دراسته بالمدرسة الخلدونية ثم الزيتونة، وعاد بعد ذلك إلى الوطن.

كانت له مشاركة فعالة في الحركة الأدبية والسياسية، ولما قامت الثورة انضم إليها فكان شاعرا للثورة وعضوا في جبهة التحرير. مما جعل فرنسا تزج به في السجن مرات متتالية ثم فرّ منه سنة 1959م، فأرسلته الجبهة خارج الحدود فجال في العالم العربي، وعرف بالثورة، وافته المنية بتونس " يوم 03 رمضان 1397 هـ الموافق لـ 17 أوت 1977م"[3].

" ونقل جثمانه إلى مسقط رأسه ببني ميزاب"[4] بعد أن أقلته طائرة جزائرية وبأمر من الرئيس هواري بومدين، حضر جنازته شخصيات سياسية وأدبية وطنية منها ودولية"[5] مرموقة.

---

[1] - محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة،ط2، جمعية التراث، الجزائر،1987م، ص 8.

[2] - محمد شريف ولد الحسين، من المقاومة إلى الحرب من أجل الاستقلال (1830-1962)، دار القصبة، الجزائر، 2010م، ص 49.

[3] - عمر بن قينة، في الأدب الجزائر الحديث تاريخا، أنواعا وقضايا وأعلاما، ط2، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2009، ص 72.

[4] - زهية يهوني، وآخرون، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة، الجزائر، 2003، ص 263.

[5] - سليمة الكبير، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، المكتبة الخضراء، الجزائر، ص 38.

" ودع مفدي زكريا الحياة بعد نصف قرن من النضال حاول فيه أن يخرج الشعب الجزائري من متاهة البأس، ودعاه إلى استباق الحياة والتضحية بالنفس والنفيس من أجل استقلال الجزائر "[1].

ب/ حياته العملية ونشاطه السياسي:

" انضم مفدي زكريا إلى صفوف العمل السياسي والوطني منذ أوائل الثلاثينات، فكان أول عمل سياسي في تونس بعد " انخراطه في سلك التنسبية الدستورية أيام دراسته عام 1922م "[2].

كما ساهم سنة 1928م، والتحق بها رسميا وعمليا عام 1932م " كما شارك في المؤتمر الرابع الذي عضدته هذه الأخيرة بالمدرسة الخلدونية بتونس سنة 1934م"[3].

وبعد عودته إلى الجزائر عمل لصالح الحركة الإصلاحية وساند جمعية العلماء المسلمين وخلد أعمالها بقصائد رائعة وبعدها اكتشف الحركة الاستقلالية السرية وهي " حزب نجم شمال إفريقيا فانخرط فيها بحماس"[4] سنة 1934م.

" ثم انتخب أمينا عاما لها سنة 1936"[5].

وبعد أن عمدت السلطة الاستعمارية على حل نجم شمال إفريقيا في جانفي 1937م وتأسيس بدلا عنه حزب الشعب بقي أمينا عاما له"[6].

كما كانت له عدة أعمال أخرى كترأسه لهيئة تحرير صحيفة الشعب، التي كانت بمثابة لسان الحزب سنة 1937م.

---

[1] - محمد الصالح الجابري، الأدب الجزائري المعاصر، منشورات السهل، الجزائر، 2009، ص 38.

[2] - يوسف بن باكير حاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية، وسياسية، دار النشر للطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007، ص 46.

[3] - لزهد بدبدة، رجال من ذاكرة الجزائر، ج17، وزارة الثقافة، الجزائر، ص 9-10.

[4] - محمد ناصر، مفدي زكريا شاعر النضال والثورة، ص 46.

[5] - يوسف بن بكير حاج سعيد، نفس المصدر، ص 192.

[6] - يوسف بن بكير حاج سعيد، تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية اقتصادية وسياسية، ص 194.

وقد اعتقل مفدي زكريا عدة مرات نظرا لعمله النضالي السياسي من طرف المستعمر، فاعتقلته السلطات الفرنسية في أوت 1937م رفقة مصالي الحاج، وأطلق سراحه سنة 1939م، واعتقل مرة أخرى في فيفري 1940م (ستة أشهر)، ثم في 8 ماي 1945م

(ثلاث سنوات) وبعد خروجه من السجن انخرط في صفوف حركة انتصار للحريات الديموقراطية.

انضم إلى الثورة التحريرية في 1954م، واعتقل مجددا في أفريل 1956م سجن بربروس(سركاجي حاليا) مدة ثلاث سنوات وبعد خروجه من السجن فرّ إلى المغرب ثم إلى تونس أين ساهم في تحرير جريدة المجاهد إلى غاية الاستقلال.

ج/ انتاجه الأدبي:

لقد ترك مفدي زكريا سجلا حافلا بالإنجازات الأدبية التي عرفت في الساحة الأدبية والفنية، ولا شك أنه من الأوائل المؤسسين للصحافة الوطنية، حيث كانت له مبادرة مع رمضان حمود في تأسيس " جمعية الوفاق الأدبية التي صدرت صحيفتها في الفترة ما بين (1925- 1930م) في تونس، وعند عودته إلى الجزائر أسس جمعية مماثلة وأصدر لها صحيفة الحياة التي صدر منها ثلاثة أعداد سنة 1933م[1].

أما بالنسبة للإسهام الأدبي نجد له عدة أعمال، ففي عام 1936م نظم مفدي زكريا نشيده الخالد الذي عبر عن آمال وآلام الشعب الجزائري، وسمي هذا النشيد الانطلاقة الوطنية الأولى " يقول في بعض أبياته:

*فداء الجزائر روحي ومالي * ألا في سبيل الحرية

*فليحيا حزب الشعب الغالي * وليحيا نجم افريقيا

[1]- مفدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، منشورات مؤسسة مفدي زكريا، الجزائر، 2003م، ص 14.

*وليحيا جند الاستقلال * مثال الفدا والوطنية[1].

" وفي السجن كان شعلة متوهجة وحارب بالكلمة التي كانت تقاتل إلى جانب الرصاصة، فمهدي زكريا من شعراء الجزائر وجنودها الذين ساهموا في تشكيل تلاحم قوي بين صوت الحق ودوي الرصاص"[2] ومن أبرز القصائد التي كتبها في سجن نجد قصيدة " نشيد الشهداء" الذي نظمه في سجن بربروس في الزنزانة رقم 65 يوم 29 نوفمبر 1937م، وقصيدة " اعصفي يا رياح".

ونظم النشيد الوطني الجزائري كذلك في سجنبربروس في الزنزانة رقم 69 بتاريخ 25 أفريل 1955م، ولحنه الملحن المصري محمود فوزي ونظم قصائد أخرى مثل: " فداء الجزائر،" نحن طلاب الجزائر"... كما له دواوين شعرية معنونة بـ:

*تحت ظلال الزيتون: صدرت الطبعة الأولى عام 1965م بتونس.

*اللهب المقدس: صدر في الجزائر عام 1983م، وصدرت طبعة الأولى عام 1961م بيروت " لبنان"

*من وحي الأطلس (ديوان شعري)

*إلياذة الجزائر وهي كذلك ديوان شعري، وتتكون من ألف بيت وبيت، والغاية من هذا العمل هو كتابة تاريخ الجزائر.

كما صدر له كتب أدبية خارج إطار الشعر ومن بينها:

*الأدب العربي بالجزائر، يقع في أربع أجزاء.

*كتاب أنتم أيها الشعراء.

[1] - محمد بلقاسم خمار، من أناشيدنا الوطنية، منشورات متحف المجاهد، الجزائر، 1994م، ص 17.

[2] - الوناس شعباني، تطور الشعر الجزائري منذ 1945م، حتى سنة 1980م، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص 82.

*وكتاب آخر بعنوان " صلة الرحم الفكرية بين أقطار المغرب العربي الكبير.

*تاريخ الصحافة العربية في الجزائر.

2- لمحة حول الديوان:

" **اللهب المقدس:** كثورة الجزائر لا يحتاج إلى جواز مرور ولا تأشيرة دخول لكي ينطلق إلى أفاقه الفساح، كالمارد الجزائري بين شعاليل من نار ونور، نار تركت وراءه عساليج من دخان معركة مسحورة ألهمت الأجيال وصنعت التاريخ.

" اللهب المقدس " هو ديوان الثورة الجزائرية بواقعها الصريح، وبطولاتها الأسطورية وأحداثها الصارخة وهو شاشة تليفزيون تبرز إرادة شعب استجاب له القدر.

*أما ديوان مفدي زكريا بما يضمه من خوالج إنسان يحب ويبغض، يخطئ ويصيب، ينتفض للحب ويعيد الجمال، فذلك ما سيتسع له أفق باسم ممراح، يغمر فيه أريج الورد، رائحة البارود في أجواء مستبشرة نشوى.

*لم أعن في " اللهب المقدس " بالفن والصناعة، عنايتي بالتعبئة الثورية وتصوير وجه الجزائر الحقيقي بريشة من عروق قلبي غرستها في جراحاته المطولة، والشعر الحق، في نظري إلهام لا فن وعفوية لا صناعة"[1].

*اللهب المقدس هو ديوان شعري لشاعر الثورة الجزائرية مفدي زكريا، نظمت قصائد هذا الديوان في سجن بربروس (أغلبها) بعد اعتقال السلطات الاستعمارية للشاعر.

وأول طبعة لهذا الديوان كانت هام 1973م، بلبنان " بيروت" بينما صدرت طبعته الأولى في الجزائر عام 1983م في المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع.

بحيث يتضمن ديوان " اللهب المقدس" على مجموعة من القصائد متعددة المواضيع.

[1]- مفدي زكريا، اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الجزائر، 2007م، ص 7.

فنجد مجموعة من القصائد جاءت تحت عنوان " من أعماق بربروس" وعشر أناشيد معنونة بـ " تسابيح الخلود.

وثلاثين قصيدة تحت عنوان " تنبؤات شاهر"

كما نجد ستة قصائد بعنوان " من وحي الشرق "

وافتتح الشاعر ديوان " اللهب المقدس" بقصيدة رائعة بقدر ما هي حزينة مسيلة للدموع التي عنوانها " بالذبيح الصاعد " التي تخلد " من أعماق بربروس" لحظات ارتقاء أول شهداء المقصلة " الشهيد أحمد زبانة ليلة 18 جويلية 1955م.

ولكن قبل قصيدة " الذبيح الصاعد" نجد قصيدة " هكذا بفعل أبناء الجزائر" التي نظمها مفدي زكريا لابنه " صلاح الدين سليمان.

*ومن تسابيح الخلود وأناشيد الخلود يخالجك إحساس مختلف وأنت تقرأ النشيد الوطني الجزائري شعرا لا غناء ونجد عنوان قصيدته هو ط فاشهدوا" وليس " قسما" كما تداول عند الجميع الذي نظمه سجن بربروس في الزنزانة رقم 69 بتاريخ 25 أفريل 1955م.

*ففي ديوان اللهب المقدس نجد كل قصيدة تحمل شرحا وجيزا لظروف كتابتها ونأخذ كمثال " زنزانة العذاب رقم 73" حيث نظمت هذه القصيدة بينما زج بالشاعر في زنزانة مظلمة بسجن بربروس، فهاجت في أعماقه هاته الكلمات ونظم هذا القصيد في ظلام زنزانته مظلمة وحفظه بين بيت لاستحالة كتابته.

*كما نجد في الديوان نشيد جيش التحرير الجزائري بالدارجة العامية، أي أنها شعر شعبي وقد نظمه الشاعر بسجن البرواقية ومما جاء فيه:

" هذيدمانة الغالية دفاقة

وعلى الجبال علامنا خفاقة

وللجهاد أرواحنا سباقة

جيش التحرير إحنا ..... ماناش(فلاقة)"[1].

ومنه يمكن القول أن ديوان"اللهب المقدس" مثل مرحلة هامة ومحطة متميزة من حياة الشاعر النضالية.

كما نجد أن الشاعر نظم هذا الديوان وهو بصورة فترة ثورية من أعنف الثورات في تاريخ الإنسانية، فهو يصور لنا زحف شعب كامل نحو النور، كما أنه صور لنا ذلك الجبل الذي حمل على عاتقه مشعلا مقدسا ليبدد به كثافة الظلام الذي يعم جوانب حياته المختلفة، فبهذا التصوير يجسد لنا الشعب الثائر والأمة التي امتزجت بروح ثورية فتمخضت عنها حالة نفسية ثائرة نحو الهدف في قوة الإصرار من أجل استرجاع الحرية وتحقيق الاستقلال.

ثالثا: تجليات البعد القومي في ديوان اللهب المقدس:

*من خلال ديوان " اللهب المقدس " يتضح لنا جليا أن الشاعر مفدي زكريا وبالرغم من المأساة التي عاشها وتعيشها الجزائر إلا أنه لم يفض بصره عن الأحداث التي تجري في الأوطان العربية سواء تعلق الأمر بالمغرب العربي أو المشرق العربي. حيث نجد أن الشاعر قد اهتم بقضايا أمته وأسال حبره تقديرا واحتراما لها، خاصة وأنها كانت تعيش نفس الظروف التي تعيشها الجزائر من ويلات الاستعمار وانتهاك للحقوق واعتداء على الحريات وسلب للوطن الأم. وهذا ما جعله يلتفت هاته الالتفاتة المفعمة بالروح القومية والعربية ذات الطابع الديني، ومن بين القضايا التي طرحها الشاعر في ديوانه نجد قضية المغرب العربي خاصة تونس والمغرب. وكذا قضية المشرق العربي وعلى وجه الخصوص قضية فلسطين. بالإضافة إلى قضية وحدة الأمة العربية.

[1]- مفدي زكريا، اللهب المقدس، ص 69.

1- قضية المغرب العربي: تعتبر هذه القضية أول قضية تشغل بال الشاعر مفدي زكريا بعد الثورة الجزائرية إذ " غدت وحدة المغرب العربي عقيدة راسخة تمتد جذورها في أعماق أعماله الشعرية، ومبدأ سياسيا ناضل من أجل تحقيقه منذ يفاعته حتى آخر لحظة من عمره، وقد كان يدعو على وحدته في المؤتمرات والملتقيات الوطنية سواء في الجزائر أو المغرب أو في تونس، أو حتى على مستوى علاقاته الشخصية، لذلك غدت هذه القضية فكرة محورية، دار حولها شعر مفدي زكريا منذ سنة 1925م إلى أن توفته المنية سنة 1977"[1]

حيث كان يدعو إلى الوحدة المغاربية فتبنى هذه القضية كقضية جوهرية في أعماله الشعرية، ودائما ما كان يربط وحدة المغرب العربي بوحدة الأمة العربية وأن الإسلام هو الممهد الأول في جمع هذه الأمة.

وفي هذا السياق يقول مفدي زكريا: " إذا كانت عقيدتي في وحدانية الله فإن وحدة مغربنا الكبير كرصيد للوحدة الكبرى ، لا تختلف قط عن عقيدتي وحدانية الله، لذلك تراني أشد وفوق كل غصن من مغربنا الكبير، وأمجد كل من يعمل على خيره، وخير العرب أجمعين، وليست تهمني في ذلك الأوضاع والمذاهب السياسية، مهما اتحدت أو تقاربت أو تباعدت مادمت اؤمن أن الوحدانية صمام الأمان المستقبل مصيرها وانسجام أهدافها"[2] حيث نجده يقول في قصيدة " قالوا نريد"

*والمغرب العربي، شعب واحد * ملء العروق دم العروبة جاري

*للشرق لا للغرب، ولي وجهه * فغدا له سندا لخوض غمار"[3]

وهنا الشاعر يشيد بوحدة المغرب العربي التي تربطه صلة الدين واللسان والتاريخ، إضافة إلى الآمال والآلام المشتركة.

---

[1]- مجلة الحياة الثقافية (تونس)، عدد 32، أوت، 1984م.

[2]- مفدي زكريا، ديوان تحت ظلال الزيتون، المطلعة الرسمية للجمهورية تونسية، تونس، 1965م، المقدمة.

[3]- مفدي زكريا اللهب المقدس، المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2007، ص 100.

وقال أيضا: وسرفي المغرب العربي لحنا * وفي قيثارة الأعياد عرقا.[1]

وكان يرى مفدي زكريا وحدة المغرب العربي عقيدة راسخة في ذهنه، وأنه لا يتحقق الاستقلال إلا بوحدة شمال افريقيا أي أنه لا معنى للاستقلال تونس والمغرب إلا باستقلال الجزائر والعكس فمفدي زكريا لا يرضى بأنصاف الحلول التي كانت تلجأ إليها فرنسا لضرب وحدة المغرب، وأن ازدهارها المغرب العربي لا يتم إلا باستقلال هاته الدول الثلاث حيث نجده يقول:

*ما بالهم يتصدقون؟ كأننا * نرضى من الأسلاب بالأشطار!

لا نقبل الصدقات، كلا إننا طلاب حق لا سماسر عار!

*لا شـــيء إلا وحدة عربية * جبارة فـــي المغرب الجبار

*طالب بحقك كاملا وحذار أن * ترضى بأنصاف الحلول حذار[2]

فهذه العقيدة الراسخة في ذهنه لم تكن وليدة الحاضر بل كان يدعو إليها وهو لا يزال طفلا صغيرا فنجده يقول:

*وفي المغرب الجبار ناشدت وحدة * سبقت بها في فجر عمري أراني

*وأحببت أوطاني رضيعا ولم أزل * أغنى مع الدنيا مع أمجاد أوطاني

*وهمت بأبناء العروبة يافعا * أرى كل أبناء العروبة إخواني

ولعل سبب هذا التعلق ببلدان شمال افريقيا وأقصد هنا تونس والمغرب راجع إلى عدة أسباب جعلته يعتبرها أوطانه الثانية يكن لها الاحترام كاحترامه للجزائر. وعلى سبيل المثال نجد أنه أكمل دراسته في تونس. وكانت المغرب مأواه حين فر من يد الاستعمار الفرنسي. وهذا يثبت

[1] - المرجع نفسه، ص 103.
[2] - اللهب المقدس، ص 101.

أن غريزة حبه للمغرب وتونس لم تأتي من فراغ بل كانت نتيجة المعاملة التي تلقاها من هذين البلدين الشقيقين فكان يفرح لفرحهم ويشاركهم أحزانهم وهذا ما جاء في قوله في قصيدة " قالوا بريد يوم استقلال المغرب–:

*الله أكبر جل عبدا خالدا * ما كان أكبره عند الإكبار

*عبد به الدنيا تموج عروقها * خفاقة بروائع الأسرار

*واعتز فيه الشعب يروي للعلا اسند * قباله للضغيم العصار

*ملك من الشعب استمد جلاله * فأحبه وفداه بالأعمار[1]

من خلال هاته الأبيات يتضح لنا مكانة المغرب الأقصى عند مفدي زكريا فهو يفصح عن فرحته الكبيرة للاستقلال المغرب ويثني على ملكها " محمد الخامس" على المجهودات التي بذلها من أجل شعبه ووطنه.

وقد أبدى مفدي زكريا مشاعره نحو البلد الشقيق قائلا:

*بني المغرب الميمون هذه مشاعري * يطير بها شوقي إليكم وتحناني

*خوالج إلف في حمامكم متيم * ونبضة ملتاع وخفقة ولهان

فمن خلال هاته يبدو الشاعر صريحا في مشاعره اتجاه المغرب فهو يزف إلى شعبه شوقه وتحنانه إليهم.

*وقد اكتملت فرحة الشاعر مفدي زكريا حين أجلي الجيش الفرنسي من القواعد المغربية في شهر أكتوبر سنة 1961، فأثبت من خلال كلماته انتمائه إلى هذا الوطن الأبي. حيث قال:

* مغربي ..... مغربي

[1]- اللهب المقدس، ص 98-99.

أرض أمي وأبي

أرضنا نحن فداها

نحن جند في حماها

نحن نبت في رباها

سنبلات في ذراها

قطرات من دماها

فهنا الشاعر بالإضافة إلى اثبات انتماءه إلى هذا البلد الشقيق إن دل، دل على مشاعره الصادقة نحو الغرب.

وتعلق مفدي زكريا وحبه للمغرب لم يتجل في مشاركتهم الفرح فقط، إنما كان موقفه ثابتا في الحزن على ما يصيبها والوقوف معها في ضراءها. فنجده تأثر تأثرا شديدا في وفاة " محمد الخامس" حيث كان هذا الفذ معروفا بمواقفه البطولية الثابتة وأيضا في مواقفه الصارمة. فبكاه الشاعر وصرخ على فقيده قائلا في قصيدة حملت عنوان " نسيت روح شعبك عرش ملك "[1].

*إلى متى تظل تلسعنا الجراح * وفيم تبيت تنهشنا الرماح

*وهل في المغرب العربي يوم * سينقطع التوجع والنواح

*لنا في كل زاوية نحيب * لنا في كطل حادثة صباح

*وليث الأطلس يطوى * فطوى في آمال فساح[2]

[1]- اللهب المقدس،92.

[2]- اللهب المقدس، ص 183-184.

فهنا الشاعر يرثي محمد الخامس يوم وفاته ويبعث بهذه الكلمات إلى الشعب المغربي والعائلة المالكة.

ويقول في قصيدة " أفي السموات عرش تنشده

*وأي خطب دهى الحمراء فانتكست *تلك المغاني التي كانت تناغينا

*وجئت أنثر دمعا في مرابعها * وطالما نظمت شعري تلاحينا

*وبالأمس كانت توافيكم مدائحنا * واليوم جاءت تواسيكم تعازينا

*ما كنت أحسب في دياركم * يوما سأشهد بعد العيد تأتينا[1]

*ويا محمد من أغراك!...فانفلتت * للقدس روحك تحفل بداعينا

من خلال هاته الأبيات اتضح لنا مدى تأثر الشاعر الكبير لرحيل فقيده محمد الخامس وكيف طغى الحزن على كملماته التي كانت تجسد الجرح الذي أصاب قلبه، وجاءت هاته القصيدة التأبينية في أربعينية " محمد الخامس" يوم 7 أفريل 1961م تخليدا لروحه.

أما بالنسبة لدولة تونس الشقيق فلم يختلف الأمر فكان حب مفدي زكريا لها مشتق من حبه للجزائر فكان يهوم في حبها عشقا فنجده يقول:

*أتونس...هذي نبضة صاغ نظمها * بتونس ولهان بها عاشق صب

*وما أنا إلا شاعر شفه الهوى * فهام ... فلا لوم عليّ ولا عتب

*وما أنا إلا النحل يرعى زهوره * ويغدو... ولا إثم عليه ولا ذنب[2]

[1] - اللهب المقدس، ص 192-193.
[2] - المرجع النفسه، ص 157-158.

فهنا الشاعر يتغنى بحبه لتونس الخضراء ويهوم بها عشقا فعلاقته بتونس كعلاقة النحل بالزهور الذي يتغذى من رحيقها فهو في كل مرة يستذكر صباه التي قضاها هناك خاصة أيام دراسته قائلا:

*بلاد قضيت بها عصر سبيتي * تروا حق فيها المدارس والكتب

*وتنعشني فيها قلوب ذكية * ويسعدني فيها الأخلاء والصحب

*صبوت بها حنبا من الدهر عابثا * أي فتي في أرض تونس لا يصبو؟

*سلام على عهد الصبابة والصبا * وبشراك بالتفكير في الحد يا قلب [1]

من خلال الأبيات يتضح ان الشاعر يحن إلى الايام التي قضاها مع خلانه وأصحابه ودراسته هناك، ويستثنيها عن الأيام الأخرى فهذه الأيام والذكريات لها طابع خاص لدى الشاعر.

وكانت كلها تتيح له الفرصة يتغنى بتونس وأمجادها، فنجده يقول:

*أشرق العيد فانشروا الأعلاما * واملأوا الكون بهجة وابتساما

*وارفلوا اليوم في المدائن فيها * وارفعوا في السماوات هاما

فجاءت هاته الكلمات تخليدا لذكرى استقلال تونس الذي كان يوم 20 مارس 1956-1961م فاحتفى مفدي زكريا بهذه الذكرى وشارك تونس فرحتها وتقاسم معها متنفسا من الحرية.[2]وافتخارا بشعبها قال:

*وغدا الشعب بعد طول جهاد * ماسكا فيه للمصير زماما

*ومضى كالخضم يزحف للمج * د كالنجم للعلا يتسامى

[1] - اللهب المقدس، 158.
[2] - المرجع نفسه، ص 179.

*بنفوس حلقت تختا * ر للشعب في الخلود مقاما

فمن خلال هذه الأبيات يثني مفدي زكريا على الشعب التونسي الذي عمل جاهدا وتحدى الصعاب وضحى بالنفس والنفيس من أجل استرجاع ما سلب منهم من حرية ومجد. فهبوا من أجل أن ينعموا بها مرة أخرى، فكان ذاك مرادهم.[1]

قضية المشرق العربي:

" داو الكلوم يا شرق فمازلنا كلما استشفينا بك نجد الراحة والعافية ونظفر بالأدوية الشافية، ومازلنا كلما استنشقنا ريحا استثنينا رندكوعرعارك... ومازالت أفئدتنا تهوى إليك فتصافحنا حرارة الإيمان، وبرد اليقين وروح الأمان، ومازالت تتحفنا مع كل بازغة منك بالنور اللائح والشعاع الهادي [2]" .

هي كلمات نثرها الأديب البشير الابراهيمي تعبيرا عن مدى ارتباط الجزائر بالمشرق العربي فهو "ارتباط القلب واللسان، وارتباط العقل والتفكير، وارتباط الشعور والتقدير"[3]، أي أن الجزائر شغفت بالمشرق حبا وانتهلوا من منابعه ثقافة، وهذا ما نجده في الأدب الجزائري إذ أن كل مجريات المشرق العربي من حركة إصلاحية أو نهضة أ دبية إلا ونجد لها صدى بارز في الجزائر، وهذا يعني أن المشرق العربي كان المؤثر الفعال على الأدب الجزائري عامة، والشعر خاصة، وعلى إثر هذه العلاقات الوطيدة نجد أن الإنسان ومهما اشتدت الأزمات يبقى مرتبطا بالمشرق محافظا على أواصر الأخوة التي تجمعهم، وهذا ما جسده شعراء الجزائر وعلى رأسيهم الشاعر مفدي زكريا الذي آمن بالوحدة العربية إيمانا صادقا واهتم بقضاياها، واعتبرها كقضية الثورة الجزائرية وعلى رأس هذه القضايا نجد قضية فلسطين التي حركت مشاعره وأسالت حبره، وأفاضت دمعه، وقبل الخوض في " قضية فلسطين " أود

- اللهب المقدس، ص 79.[1]
- عبد الله الركيبي. قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر ،ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م، ص3.[2]
- المرجع نفسه، ص 18.[3]

أن أشير إلى القضايا التي تناولناها لمعظم دول المشرق واهتم بها فنجده يقول قصيدة " معجزة الصانع":

*وهب في لبنان، مستعرضا ثورته في عامها الرابع

*وماله غير التحام القوى ووحدة المجموع من دافع

وهنا الشاعر يذكر لنا ثورة لبنان عام 1958م ويحثنا على مدى قوتها التي نتجت من اتحاد سعيها والدفاع عن وطنهم.

كما نجد مفدي زكريا وهو يتغزل بجمال لبنان[1] قائلاك

*لبنان ..... يا معجزة الصانع * باللوحة من رئيسة البارع

*يا بصمة الرب علىأرضه * وخاتما من خطه الناصع

*يا قصة يكتبها آدم *يحكي بها على خلده الضائع[2]

فمن خلال هاته الأبيات نجد أن الشاعر يتغنى بجمال لبنان الذي اعتبرها لوحة فنية من الخالق في ارضه

ويقول أيضا:

*بيروت أصبحت بها مغرما * ما كنت لولا الحرب بالراجع

*تحية من شاعر يستقي * إلهامه من روضك اليانع

*خواطر أحمل مشبوبها * من ثورة في عامها السابع[3]

[1] - اللهب المقدس، ص 275.
[2] - اللهب المقدس، ص 273.
[3] - المرجع نفسه، ص 277.

في هذه الأبيات يعترف الشاعر بحبه لهذا البلد الذي ألهمه وسحر قلبه وحرك خواطره، ويصرح أنه لولا الحرب لما رجع ومن لبنان إلى مصر الذي كان حريصا على أن تصمد في وجه الكائدين، ومحافظة على حريتها مهما كان.

فنجده يوجه خطابه لرئيسها آنذاك " جمال عبد الناصر " قائلا:

*قل يا جمال يردد قولك الهرم * واحكم بما شئت تنجر حكمك الأمم

*واصدع بأمرك فثالوث يرهبه * واخفق بثغر الحمى يخفق به العلم

*واحفظ لمصر قناة في حشاشتها * جرى بها قبل أن يحري البخار دم[1]

نظمت هاته الابيات من القصيدة يوم الاعتداء الثلاثي على قناة السويس (20 أكتوبر 1956م) حيث نظمها الشاعر وهو في سجن بربروس في الزنزانة رقم 93) حيث أن مفدي زكريا يطلب من جمال عبد الناصر أن يقف صامدا أمام هذا العدوان الذي طمن مصر

و يحفظ كرامة مصر بحفاظه على قناة السويس.

*أما بالنسبة لفلسطين فقد كانت لها حصة الأسد محبة واهتماما وتقديرا عند الشعب الجزائري عامة وشعرائها خاصة. لأن هذا البلد له منزلة خاصة لدى الجزائريين منذ الأزل، فعلاقتها لازالت محافظة على مكانتها ومتانتها.

" ومن هنا كان إحساس الشعب الجزائري بقضية فلسطين إحساس جادا وعميقا[2] باعتبارها لسان الشعب المعبر عن مشاعره وأفكاره"[3]

وهذا ما جسده الشاعر مفدي زكريا من خلال أشعاره التي نظمها لأجل فلسطين، فنجد يقدس هذا البلد الأبي قائلا:

---

[1]- اللهب المقدس، ص 251.

[2]- عبد الله الركيبي: فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، ص 18

[3]- المرجع نفسه.

*فلسطين يا مهبط الأنبياو يا قبلة العرب الثانية

*و يا حجة الله في أرضه * و يا هبة الأزل السامية[1]

يتجلى لنا من خلال هاته الأبيات مدى قداسة هذه الأرض الطيبة، ومنزلتها السامية، لكن غدر وسكوت العرب عنها أوقعها في الهاوية، يقول مفدي زكريا

*فلسطين ... والعرب في سكرة * قد انحدروا بك للهاوية

*رماك الزمان بكل لئيم * زنيم من الفئة الباغية[2]

فكانت هذه الضربة موجعة لفلسطين، لأن ضربة القريب تكون أدهى وأمر، فكانت حصرتها بادية على وجهها جراء ما حدث فهي تقول على لسان الشاعر مفدي زكريا:

*أيا شاعر العرب ذكرتني * وهجت جراحاتي الدامية

*ورحت أباع وأشترى كما * تباع لجزائرها الماشية

*وأشنق في حبل مستعمري * وأصلب في كن جلادية[3]

فهنا الشاعر يذكر على لسان فلسطين تحصرها مما حدث لها فقد استغنى عنها العرب وباعوها كما تباع الماشية.فصرحت قائلة:

وفي سكرة ضيعوا عزتي ولم يفن عني سلطانية[4]

وقد كان للعرب ردة فعل على ما قالته فلسطين اتجاههم فكان جوابهم كتالي:

*وقال ابن يعرب لما نقب * ظ لم أدره، من سكرتي ماهية؟

[1] - اللهب المقدس، ص 279.
[2] - المرجع نفسه، ص 280.
[3] - اللهب المقدس، ص 281.
[4] - المرجع نفسه.

*ولم أتفطن لنا لوثها * ولم أدر من غفوتي ماهية[1]

من خلال هذين البيتين يصرح العرب بغفلتهم التي أودت بحياة فلسطين شعبا ودولة تحت وطأة الصهاينة.

قد اعترفت العرب بهذا الذنب الغير المغفور لهم اتجاه فلسطين، يقول مفدي زكريا على لسان العرب:

*فلسطين لا تيأسي إنني * سأصلح في الشرق أخطائيه

*لئن خنت فيما مضى إنه * يوبخني اليوم وجدانيه

*تخاذلت وانهار مني الضمير * فيضيع أرضي خذلانيه[2]

فالعرب يعاني من تأنيب الضمير والخذلان لما عانته ولازالت تعانيه فلسطين لحد الآن فسبب إهمال العرب وتراخيهم اتجاه فلسطين والقدس قد لطخوا شرف الأمة العربية ومن خلال الأبيات التي ذكرتها تجسدت لنا مشاعر مفدي زكريا اتجاه القضية الفلسطينية، واتجاه ما تعانيه من آلام، وحسرته عليها لما تعانيه، فهو يعتبر أن فلسطين من صلب الجزائر وأن جرحها واحد يقول:

*فلسطين من صلبنا لحمة * جراحاتها في الحشاثاوية

*فلسطين في أرضنا بعثها * ومن أرضنا تزحف الحامية

*ومن أرضنا نقطة الانطلاق * وثورتنا حجر الزاوية[3]

[1] - المرجع نفسه، ص 284.
[2] - اللهب المقدس، ص 285.
[3] - المرجع نفسه، ص 287

فهنا الشاعر يصرح أن ثرة الجزائريين ستكون الحجر الأساس لانطلاق ثورة فلسطين، والتي ستمون انطلاقتها من الجزائر وهذا دليل على أن الجزائر لن تخون فلسطين وأنها معها ظالمة أو مظلومة.

- **قضية الوحدة العربية:**

لقد التزم شاعر الثورة الجزائرية " مفدي زكريا " بقضايا الأمة العربية ووحدتها، وحسب نفسه مسؤولا عنها، إذ تراه في كل مرة يدعو أبناء هذه الأمة إلى التكاتف والتضامن وبناء وحدة شاملة تجمعهم، فالوحدة العربية بالنسبة له عقيدة راسخة يؤمن بها كإيمانه بوحدانية الله، يقول في قصيدة له:

*عهد العروبة ركن من عقيدتنا * وللعروبة في أصلابنا رحم[1]

فكانت العروبة ووحدتها مطلب لا يتنازل عنه فهو يطالبه في كل مرة قائلا:

وإن بلغت القصد والمبتغى * فحقق وحدة العرب

بين أوطان العروبة[2]

كما يرى مفدي زكريا أن الإسلام هو الركيزة الأساسية في توحد العرب ولم شمل هذه الأمة وبناء حضارة عربية إسلامية فنجده يقول:

*عروبتنا في ضمير البنا * وشاح راسخة، راسية

*عقيدتنا في الورى وحدة * وأسمى القصائد وحدانية

*محمد ابقى لنا عبرة * من الذئب والغنم القاصية

دينية إسلامية الغاية منها إثارة النزعة العربية الإسلامية.

---

[1] - اللهب المقدس، ص 2541

[2] - المرجع نفسه، ص 78.22

فنجده يقول:

*فإن تنصروا الله ينصركم * وينجز أمانيكم الغالية

*ولن يخلف الله ميعاده * ولا ريب ساعتنا آتية[1]

فالشاعر مفدي زكريا كله إيمان ويقين بنصرة الله عز وجل لعباده، وأنه سيحقق أمانيهم ومبتغاهم عاجلا أم آجلا لأن الله لن يخلف ميعاده.

[1]- المرجع نفسه، ص 288.

خـــاتمـــة

خاتمة:

وفي الأخير وبناء على توصلنا في البحث يمكن القول بأن الشعر الجزائري الحديث استلهم من الوعي القومي صوره ومعانيه ودلالته في التعبير عن الروح العربية والإسلامية، وتصوير نضالها وكفاحها، كل ذلك من أجل تحقيق حقها المشروع في أن تكون أمة حضارية، وإنسانية قائمة بذاتها، وهذا ما جسده لنا الشاعر مفدي زكريا من خلال ديوانه " اللهب المقدس" حيث أطلق العنان لنفسه لحمل عمق التساؤل عن هموم أمته العربية وتحولاتها القومية، فذكر آلامها وأفراحها وكان دائما يثبت وجوده معها، ووقوفه إلى جانبها وكان في كل مرة يدعو إلى وحدة هذه الأمة وصمودها.

ولم تولد هذه النزعة القومية من عدم، وإنما كانت لها جذور ومقومات اتخذها الشعراء للتعبير عن ارتباطهم وتوحدهم وعبلا رأس هذه المقومات الدين الإسلامي الذي يسعى في كل مرة إلى توحيد صفوف الأمة الإسلامية.

النزعة القومية في شعر مفدي زكريا كانت بارزة وواضحة من خلال الأبعاد القومية التي تطرق إليها، كالتغني بالعروبة والدعوة إلى الوحدة العربية، وبالإضافة إلى التطرق إلى معاناة البلدان العربية.

وبهذا يمكن القول أن الشعر الجزائري قد فرض نفسه على الساحة الأدبية واستطاع بذلك أن يخرج من قوقعة المحافظة والتقليد إلى مسار الحداثة والتجديد.

وفي الأخير أتمنى أن أكون قد وفقت ولو قليلا في إنجاز هذا البحث، آملة أن ينال القبول والاستحسان، وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

مصادر والمراجع

المصادر والمراجع:

ابن منظور، لسان العرب، تح عامر أحمد الحيدري، مراجعة عبد المنعم جليل ابراهيم، (ق و م)، مج 7، ط1، لبنان، 2005م.

بديدة لزهد، رجال من ذاكرة الجزائر، ج1، وزارة الثقافة، الجزائر.

بن بكير يوسف حاج سعيد تاريخ بني ميزاب، دراسة اجتماعية واقتصادية وسياسية، دار النشر والطباعة الشعبية للجيش، الجزائر، 2007م.

بهوني زهية، موسوعة العلماء والأدباء الجزائريين، دار الحضارة ،الجزائر،2003م.

بوزواوي محمد، قاموس المصطلحات، دار مدني، د ط، الجزائر، 2003م.

بوعيو بوجمعة، توظيف التراث في الشعر، مطبعة المعارف، ط1، عنابة الجزائر،2007.

بيطام مصطفى، الثورة الجزائرية في الشعر العربي (1954- 1962م)، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1998م.

حسين محمد محمد، الإتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر، دار جمالي، ج2، ط2، الأردن، 1988م.

حمادي سعدود وآخرون، دور الأدب في الوعي القومي الأدبي، مركز الدراسات الوحدة العربية، ط4، لبنان، 1986.

حمويصبحي ، المنجد الوسيط في العربية المعاصرة، دار الشرق، ط2، 1963م

خرفي صالح، الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984م.

خرفي صالح، في رحال المغرب العربي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1985م.

خليل ابراهيم، مدخل لدراسة الشعر العربي الحديث، دار الميسرة، ط2، 2007م.

خمار محمد بلقاسم، من أناشيدنا الوطنية، منشورات المجاهد، الجزائر، 1999م.

دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، 1981م.

الركيبي عبد الله ، فلسطين في الأدب الجزائري الحديث، الكتاب العربي، الجزائر،2009م.

الركيبي عبد الله، الشاعر جلواح من التمرد للانتحار، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

الركيبي عبد الله، قضايا عربية في الشعر الجزائري المعاصر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1983م.

السد نور الدين، القضية الجزائرية عند بعض الشعراء العرب، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986م.

سعد الله أبو القاسم، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، ط5، الجزائر، 2007م.

سعيدي محمد الأمين، شعرية المفارقة في القصيدة الجزائرية المعاصرة، دار فسيرا، الجزائر،2012م.

شعباني لوناس، تطور الشعر الجزائري (1945-1980م)، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر،1988م.

عبد الناصر محمد، الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية(1925-1975م)

العقاد عباس محمود، وحي أربعين، مؤسسة هنداوي، د ط، مصر، 2012.

غزالي محمد، الحقيقة القومية العربية وأسطورة البعث العربي، دار نهضة مصر، ط3، مصر، 2015م.

قينة عمر، في أدب الجزائر الحديث، تاريخا، أنواعا، وقضايا وأعلاما، ديوان المطبوعات الجامعية، ط2.

الكبير سليمة، مفدي زكريا شاعر الثورة الجزائرية، المكتبة الخضراء، الجزائر، 2004م.

مدي زكريا، تاريخ الصحافة العربية في الجزائر، منشورات ومؤسسات مفدي زكريا، الجزائر 2003م.

مندور محمد، معارك أدبية، دار النهضة للطباعة والنشر، د ط، مصر.

ناصر محمد، مفدي زكريا، شاعر النضال والثورة، جمعية التراث، ط2، الجزائر، 1987م.

نور سلمان، الأدب الجزائري في رحاب الرفض والتحرير، دار العلم للملايين، الجزائر، 2020م.

هيمة عبد الحميد، الصورة الفنية في الخطاب الشعري الجزائري، دار هومة، الجزائر، 2005م.

ولد الحسين محمد شريف، من المقاومة إلى الحرب من أجل الإستقلال 1830-1962، دار القصبة، الجزائر، 2010م.

الدواوين الشعرية:

آل خليفة محمد العيد، الديوان، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 2010م.

جزائري الأمير عبد القادر، ديوان، جمع تحقيق شرح تقديم العربي دحو، ط3، الجزائر 2007م.

سحنون أحمد، الديوان، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971م.

مفدي زكريا تحت ظلال الزيتون، المطبعة الرسمية للجمهورية التونسية، تونس 1965م.

مفدي زكريا، اللهب المقدس المؤسسة الوطنية للفنون، الجزائر، 2007م.

المجلات:

سعيد اسماعيل علي، الفكر التربوي العربي الحديث، سلسلة عالم المعرفة، العدد 113، الجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، د ط، الكويت، 1987م.

مجلة الحياة الثقافية (تونس)، العدد 32، 1984م.

مصطفى عبد الغني، الاتجاه القومي في الرواية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 188، المجلس الوطني للثقافة والآداب، د ط، الكويت، 1987م.

الفهرس

العنوان	الصفحة
بسملة	
إهداء	
شكر وعرفان	
شكر خاص	
مقدمة	أ- ج
الفصل الأول الشعر الجزائري الحديث	
نشأة الشعر الجزائري الحديث	05
اتجاهات الشعر الجزائري الحديث	08
خصائص الشعر الجزائري الحديث	14
الفصل الثاني البعد القومي في الشعر الجزائري	
مفهوم القومية لغة و اصطلاحا	20
بدايات الشعر القومي في الشعر العربي الحديث	23
البعد القومي في الشعر الجزائري الحديث	27
الفصل الثالث: تجليات البعد القومي في ديوان اللهب المقدس لمفدي زكريا	
نبذة من حياة الشاعر	35
لمحة حول الديوان	39
تجليات البعد القومي في ديوان اللهب المقدس	41
خاتمة	56
المصادر والمراجع	58
الفهرس	63

ملخص:

تناولت في هذه الدراسة الموسومة بالنزعة القومية في الشعر الجزائري الحديث "اللهب المقدس" لمفدي زكريا أنموذجا إلى التزام الشاعر الجزائري بقضايا الأمة العربية وبلورة الشعور القومي ، وزرع روح الانتماء في المجتمع العربي وقد انبعث في هذه الدراسة المنهج التحليلي، الوصفي، والمنهج التاريخي وتوصلت في هذه الدراسة إلى عده نتائج منها: إن الشعر الجزائري الحديث استلهم من الوعي القومي صوره ومعانيه ودلالته في التعبير عن الروح العربية والإسلامية وتجذر النزعة القومية، وارتباطها بمقومات على رأسها الدين الإسلام.

إن الشعر الجزائري فرض نفسه على الساحة الأدبية والنقدية ليخرج من قوقعة المحافظة والتقليد الى مسار الحداثة والتجديد.

كلمات مفتاحية :

نزعة – حديث – مفدي زكريا – اللهب المقدس

summary:

In this study, marked by nationalism in modern Algerian poetry, "The Holy Flame" by Mufdi Zakaria, I dealt with a model of the Algerian poet's commitment to the issues of the Arab nation, the crystallization of national feeling, and the cultivation of a spirit of belonging in Arab society. The study led to several results, including: Modern Algerian poetry was inspired by national awareness, its images, meanings, and significance in expressing the Arab and Islamic spirit and the rooting of nationalism, and its association with elements, on top of which is the religion of Islam. Algerian poetry imposed itself on the literary and critical arena to emerge from the shell of conservatism and tradition to the path of modernity and renewal

. Keywords: Niza'ah - Hadith - Mufdi Zakaria - The Holy Flame